كتاب الفضائل

باب

فضائل سيد الأولين والآخرين محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين وشمائله

وهو مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِالله، بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، بْنِ هَاشِمِ، بْنِ عَبْدِ مَنَافِ، بْنِ قُصَيٍّ، بْنِ كِلاَبِ، بْنِ مُرَّةَ، بْنِ كَعْبِ، بْنِ لُؤَيٍّ، بْنِ غَالِبِ، ابْنِ فِهْرٍ، بْنِ مَالِكِ، بْنِ النَّضْرِ، بْنِ كِنَانَةَ، بْنِ خُزَيْمَةَ، بْنِ مُدْرِكَةَ، ابْنِ إلياسَ، بْنِ مُضَرَ، بْنِ نِزَارِ، بْنِ مَعَدٍّ، بْنِ عَدْنَانَ.

ولا يَصِحُّ حِفْظُ النَّسَبِ فَوقَ عَدْنَانَ. وقُرَيْشٌ: هُمْ أوْلادُ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ تَفَرَّقُوا في البِلادِ، فَجَمَعَهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلابٍ في مَكَّةَ، سُمُّوا قُرَيْشاً، لأنَّهُ قَرَشَهُمْ، أيْ: جَمَعَهُمْ. وَلِكِنَانَةَ وَلَدٌ سِوَى النَّضْرِ، وَهُمْ لَا يُسَمَّوْنَ قُرَيْشاً، ولِأَنَّهُمْ لَمْ يُقْرَشُوا.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وقَالَ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وخَاتِمَ النَّبِيِّنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، أيْ: خَتَمَهُمْ، فَهُوَ خَاتِمٌ لَهُمْ، وَقُرِيء خَاتَمُ بفتح التاء، وهي قراءة عاصم وحده، والمعنى على هذه القراءة: أنهم به ختموا، فهو كالخاتم والطابع لهم. وقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، أيْ: عَطفاً وَصُنْعاً.

٣٤٤٨-- عن واثلة بن الأسقع قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إسْماعِيلَ، واصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنانَةَ قُرَيْشاً، واصْطفى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

٣٤٤٩- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنٍ فَقَرْنٍ، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٥٧).

القرْنُ: كلُّ طبقةٍ مقترنين في وقتٍ، قيل: سمي قرْناً لأنه يَقرنُ أمةً بأمةٍ، وعالماً بعالم، وهو مصدر: قرنْتُ ،جُعل اسماً للوقت أو لأهله، وقيل القَرْنُ: ثمانونَ سنة، وقيل: أربعون، وقيل: مِئة سنة.

٣٤٥٠- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الأنْبِياءِ إلّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآياتِ مَا آمَنَ عَلى مِثْلِهِ البَشَرُ، وَإنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْياً أوْحَاهُ اللهُ إليَّ، فَأَرْجُوا أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَومَ القِيَامَةِ».

هٰذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

٣٤٥١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ المَغَانِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إلَى النَّاسِ عَامَّةً».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

قوله: «نُصِرت بالرُّعب مسيرةَ شهرٍ» معناه: أنَّ العدوَّ يخافني، وبيني وبينه مسافةُ شهر، وذلك من نصرِالله إيَّاه.

وقوله: «جُعِلتْ لِيَ الأرضُ مسجداً» أراد أنَّ أهل الكتابِ، ما أبيحت لهم الصلاة إلا في بِيَعهمْ وكنائسهم، وأباح الله عزَّ وجلَّ لهذه الأمة الصلاةَ حيث كانوا تخفيفاً عليهم وتيسيراً، ثم خصَّ منها المقبرة والحمَّام، والمكانَ النَجِسَ، فنُهوا عن الصلاة فيه.

وقوله: «وَطَهوراً» أراد به التراب، كما بينه في حديث حذيفة «جُعِلتْ لنا الأرض كلها مسجداً، وجُعلتْ تُربتُها لنا طَهوراً» أخرجه مسلم (٥٢٢).

وقوله: « وأحِلَّتْ ليَ المغانم» أراد أنَّ الأممَ المتقدِّمةَ منهم من لم يَكُنْ أبيحَ لهم جهادُ الكفار، فلم يكنْ لهم مغانم، ومنهم مَنْ أبيحَ لهم الجهاد، ولكن لم تُبحْ لهم الغنائم، فكانت غنائمهم توضعُ، فتأتي نارٌ، فتحرقها، وأباحها الله سبحانه وتعالى لهذه الأمَّة.

وقوله: «أعطيتُ الشَّفاعة» فهي الفضيلة العظمى التي لا يُشاركُهُ فيها أحدٌ يوم القيامة، وبها سادَ الخلْقَ كلَّهُمْ حتى قال: «أنا سيِّدُ وَلِدِ آدَمَ » أخرجه مسلم (٢٢٧٨). وهو المقامُ المحمودُ الذي أعطاه الله عزَّ وجلَّ.

٣٤٥٢- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلى الأنْبِياء بِستٍّ: أُوتِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَأُرْسِلْتُ إلَى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٥٢٣).

قوله: «أوتيتُ جوامع الكلم» قيل: يعني القُرآنَ، جَمَعَ اللهُ سبحانه وتعالى بلطفه معاني كثيرة في ألفاظٍ يسيرة، وقيل: معناه: إيجاز الكلام في إشباعٍ من المعنى، فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيراً من المعاني، وأنواعاً من الأحكام.

٣٤٥٣- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُوتِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَبَيْنَا أنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَتُلَّتْ فِي يَدِي».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٧٢٧٣).

قوله: «أُتيت بمفاتح خزائن الأرض فتُلَّتْ في يدي» يحتمل أن يكون هذا إشارةٌ إلى ما فُتِحَ لأمته وجنوده من الخزائن، كخزائن كسرى وقيصر، ويحتمل أن يكون المرادُ منه معادنَ الأرض التي فيها الذهب والفضة وأنواع الفِلِزِّ، أي: ستُفتح البلدان التي فيها هذه المعادن والخزائن، فتكون لأمته. قال أبو هريرة: ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها. أي: تستخرجونها. وقوله: «تُلَّتْ في يدي» أي: ألقِيتْ في يدي.

٣٤٥٤- عَنْ همَّامِ بن منبّه، حدثنا أبو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مثلي ومَثَلُ الأنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلي، كَمَثَل رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتاً، فأحْسَنَها، وَأجْمَلَهَا، وَأكْمَلَهَا إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ، وَيُعْجِبُهُمُ البُنْيَانُ، فَيَقُولُونَ: ألا وُضِعَتْ هٰاهُنَا لَبِنَةٌ، فَتَمَّ بِنَاؤُهُ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: فَأنَا اللَّبِنَةُ».

أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

٣٤٥٥- عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعيسى ابْنِ مَرْيَمَ في الْأُولَى وَالآخِرَةِ» قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ، وَأُمَّهَاتُهُم شَتَّى، وَدِينُهُم وَاحِدٌ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا نبِيٌّ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

قوله: «إخوةٌ من عَلاَّتٍ» ما ذكر في الحديث أنَّ أمهاتهم شتىَّ ودينهم واحدٌ، يُقال لأخوةِ بني أب وأم: بنو الأعيان، فإن كانوا لأمّهات شتى، فهم بنو العلاّتِ، فإن كانوا لآباءٍ شتَّى ، فهم أخيافٌ.

يريد: أنَّ أصْلَ دين الأنبياء واحد، وإن كانت شرائعهُم مختلفة، كما أن أولادَ العَلاَّتِ أبوهم واحد، وإن كانت أمهاتهم شتَّى.

٣٤٥٦- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابنِ مَرْيَمَ، الأَنْبِيَاءُ أَوْلادُ عَلاَّتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ مَرْيَمَ نَبِيٌّ».

انظر الحديث السالف.

وكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ قَصْرٍ أُحْسِنَ بُنْيَانُهُ، تُرِكَ مِنْهُ مَوْضِعُ لَبِنَةٍ، فَطَافَ بِهَا النُّظَّارُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ حُسْنِ بِنَائِهِ إِلَّا مَوْضَعَ تِلكَ اللَّبِنَةِ، لَا يَعِيبُونَ سِواهَا، فَكُنْتُ أَنَا سَدَدْتُ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ، خُتِمَ بِيَ الْبُنْيَانُ، وَخُتِمَ بِيَ الرُّسُلُ».

انظر الحديث التالي.

٣٤٥٧- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأنبيَاء كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَاناً، فأحْسَنَهُ وَأجْمَلَهُ إلّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زاويَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، قَالَ: فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هٰذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأنَا اللَّبِنَةُ، وَأنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ».

هذا حديثٌ متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

٣٤٥٨- عَنْ جَابرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ بَعَثَنِي لِتَمامِ مَكَارِمِ الأخْلاقِ، وتَمَامِ مَحَاسِنِ الأفْعَالِ».

حديث صحيح بشواهده وإسناد حديث جابر عند البغوي ضعيف، وله شاهد من حيث أبي هريرة عند أحمد (٨٩٥٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣) وغيرهما وسنده قوي وانظر تمام تخريجه في «المسند».

٣٤٥٩- وذَكَرَ مَالِكٌ أنَّهُ بَلَغَهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخْلاقِ.

هو في «الموطأ» ٢/ ٦٩٠، قال ابن عبدالبر في «التمهيد» ٢٤/ ٣٣٣: وهٰذا الحديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره.

٣٤٦٠- عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أنَا أوَّلُهُم خُرُوجاً، وأنَا قَائِدُهُم إذا وَفَدُوا، وَأنَا خَطِيبُهُم إذا أنْصَتُوا، وَأنَا مُسْتَشْفِعُهُم إذا حُبِسُوا، وَأنَا مُبَشِّرُهُمْ إذا أيِسُوا الكَرَامَةَ، وَالمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَلِواءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدي، وَأنَا أكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلى رَبِّي، يَطُوفُ عَلَيَّ ألْفُ خَادِمٍ، كَأنَّهُم بَيْضٌ مَكْنُونٌ، أوْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ».

هذا حديث غريبٌ ضعيفُ الإسنادِ أخرجه الترمذي (٣٦١٠) وآفتُهُ ليث بن أبي سُلَيْم.

٣٤٦١- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

ورُوِيَ عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: «أنا حبيبُ الله ولا فخرَ، وأنا حاملُ لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دَونه ولا فخر، وأنا أول شافعٍ، وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أَوَّل مَن يحرك حَلقَ الجنةِ، فيفتحُ اللهُ لي، فيدخلُنيها، ومعي فقراءُ المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرمُ الأولينَ والآخرين على الله ولا فخر». إسناده ضعيف، أخرجه الدارمي ١/ ٢٦.

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ برواية أبي سعيد الخدريِّ: «لا تُخيِّروا بين الأنبياء» أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤).

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تُفَضِّلوا بين أنبياء الله» أخرجه الشيخان. وليس معنى النهي عن التخيير أن يعتقدَ التسوية بينهم في درجاتهم، فإن الله عزَّ وجلَّ قد أخبرنا أنه فضَّل بعضهم على بعض، فقال سبحانه: ﴿تلكَ الرسلُ فضَّلنا بعضهم، على بعضٍ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣] بل معناه تركُ التخيير على وجه الإزراء ببعضهم والإخلال بالواجب من حقوقهم، فإنه يكون سبباً لفساد الاعتقاد في بعضهم، وذلك كُفْرٌ.

فإن قيل: قد رُوي عن أبي هريرة أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا تُفضِّلوا بين أنبياء الله، ولا أقول: إنَّ أحداً أفضل من يونس بن مَتَّى» أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن مَتَّى» أخرجه البخاري (٣٤١٣). فكيف وجه الجمع بين هذا وبين قوله عليه السلام: «أنا سيد ولدِ آدم».

قيل: التوفيقُ بين الحديثين واضحٌ، وذلك أن قوله: «أنا سيد ولد آدم، إنما هو إخبارٌ عما أكرمه اللهُ به من الفضل والسُّؤْدُدِ، وتحديثٌ بنعمة الله عليه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وأما بنعمة ربِّكَ فحدِّثْ﴾[الضحى: ١١]. وإعلامٌ لأمته وأهل دعوته عُلوَّ مكانِه عند ربِّه، وكان بيان ذلك للأمَّة من اللازم المفروض عليه، ليكون إيمانُهم به على حَسبِ ذلك.

وقوله: «لا فَخْرَ» أي: إنما أقوله مُعتدّاً بالنعمة لا فخراً واستكباراً، أو أقوله تبليغاً لما أمِرتُ به لا افتخاراً.

وقوله: «لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس» ويُروى «مَنْ قالَ: أنا خيرٌ من يونس بن مَتَّى فقد كذب» فقد قيل: أراد به مَنْ سِواه من الناس دون نفسه، وقيل: هو عامٌّ فيه وفي غيره، وكان ذلك منه على سبيل إظهار التواضع لربِّه يقول: لا ينبغي لي أن أقوله، لأنَّ الفضيلة التي نلتها كرامةٌ من الله وخصوصيةٌ منه، لم أنلها من قِبَلِ نفسي، ولا بلغتها بحولي وقوَّتي، وإنما خصَّ يونس بالذِّكر - والله أعلم - لما قد قصَّ الله علينا من شأنه، وما كان من قلة صبره على أذى قومه، حتى قال لرسول الله ﷺ: ﴿ولا تكنْ كصاحبِ الحوتِ﴾ [القلم: ٤٨] ﴿فاصْبِرْ كما صَبر أُولوا العزم من الرسل﴾[الأحقاف: ٣٥] والله أعلم.

٣٤٦٢- عَنْ عِرْبَاضِ بنِ سَارِيةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي عِنْدَ اللهِ مَكْتُوبٌ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ في طِينَتِهِ، وسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ أمرِي دَعْوةُ إبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤيَا أُمِّي الَّتي رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْنِي، وَقَدَ خَرَجَ لَهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ.

حديث صحيح لغيره أخرجه أحمد (١٧١٥٠)، وصححه ابن حبان (٦٤٠٤)، وانظر تمام تخريجه وشواهده في «المسند».

قوله: «لمُنْجَدِلٌ» أي: مطروحٌ على وجه الأرض صورةً من طين، لم يَجرِ فيه الروح بَعدُ. ودعوةُ إبراهيم عليه السلام قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿ربَّنا وابْعَثْ فيهم رسولاً منهم يَتْلُو عليهم آياتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وبشارةُ عيسى عليه السلام قولُه: ﴿يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ [الصف: ٦].

٣٤٦٣- عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَاللهِ بنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قُلْتُ: أخْبرنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في التَّورَاةِ؟ قَالَ: أجَلْ واللهِ إنَّه لَمَوْصُوفٌ فِي التَّورَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِه فِي القُرْآنِ: يَا أيُّها النَّبيُّ إنَّا أرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَحِرزاً للأُمِّيِّينَ، أنتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الأسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلٰكِنْ يَعْفُو وَيغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ بِأنْ يَقُولُوا: لَا إلٰهَ إلّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أعْيُناً عُمْياً وَآذَاناً صُمّاً، وَقُلُوباً غُلْفاً».

أخرجه البخاري (٢١٢٥).

قوله: «ليس بفظٍّ» أي: غليظ الجانب، سيء الخُلُقِ، ومنه قوله سبحانه تعالى: ﴿ولو كنتَ فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و«السَّخَّابُ» من السَّخَب وهو لغة في الصَّخَبِ.

٣٤٦٤- عَنْ كَعْبٍ قَالَ: إنِّي أجِدُ فِي التَّوراةِ مَكْتُوباً: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، لا فَظٌّ ولا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَّابٌ فِي الأسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي

السَّيِّئَةَ بالسَّيِّئَةِ، وَلٰكِنْ يَعْفُو ويَصْفَحُ، أُمَّتُهُ الحَمَّادُونَ يَحْمَدُونَ اللهَ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَيُكَبِّرُونَهُ عَلى كُلِّ نَجْدٍ، يأْتَزِرُونَ إلى أنْصَافِهِم، وَيُوَضِّئُونَ أطْرَافَهُمْ، صَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَصَفُّهُمْ فِي القِتَالِ سَوَاءٌ، مُنَادِيهِم يُنادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ، لَهُمْ فِي جَوفِ اللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهاجَرُهُ بِطَابَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ.

أخرجه الدارمي ١/ ٤ ورجال إسناده ثقات.

وروي عن أبي صالح ذكوان، عن كعب يحكي عن التوراة قال: نجد مكتوباً: محمدٌ رسولُ اللهِ ، عبدي المختار، لا فظٌّ ولا غليظٌ، ولا سخَّابٌ بالأسواقِ، لا يجزي بالسيئة السيئةَ، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرتُه بطيبة، ومُلْكُه بالشام، وأمته الحمَّادون يَحمدون الله في السرَّاء والضرَّاء، يحمدون الله في كلِّ منزلةٍ، ويكبِّرونه على كلِّ شرفٍ، رُعاة للشمس، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها، يتأزرون على أنصافهم، ويتوضَّؤون على أطرافهم، مناديهم ينادي في جوِّ السماء، صفُّهم في القتال، وصفهم في الصلاة سواءٌ، لهم بالليل دويٌّ كدويِّ النحل.

أخرجه الدارمي ١/ ٥ وفي إسناده زيد بن عوف ضعَّفه الدارقطني وغيره.

باب

أسماء النبي صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٤٦٥- عَنْ محمد بن جبير بن مُطعمٍ، عَنْ أبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ لِي أسْمَاءً: أنَا مُحَمَّدٌ، وأنَا أحْمَدُ، وَأنَا المَاحِي، يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرُ، وَأنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأنا العَاقِبُ» والعَاقِبُ: الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

٣٤٦٦- عَنْ محمد بن جبير بن مطعم، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا أَحْمَدُ، وأَنَا مُحَمَّد، وأَنَا المَاحِي الَّذي يَمْحُو اللهُ بِهِ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وأَنَا العَاقِبُ» قَالَ: قُلْتُ لِلزُّهرِي: مَا العَاقِبُ؟ قَالَ: الَّذي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٥٤).

قوله: «يُحْشَرُ الناسُ عَلى قَدَمي» أي: أنه يُحشر أول الناس، كقوله: «أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض» والعاقب: الآخر، يريد خاتم الأنبياء. قال أبو عبيد في «غريب الحديث» ١/ ١٤٧: ولذلك كلُّ شيءٍ خلف بعد الشيء، فهو عاقب، وقد عَقَب يَعقُبُ عَقباً وعُقُوباً، ولهذا قيل لولد الرجل بعده: هو عَقْبُه.

٣٤٦٧- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: لَقيتُ النَّبيَّ ﷺ فِي بَعْضِ طَرِيقِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وأَنَا أَحْمَدُ، وأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوبَةِ، وأَنَا المُقَفِّي، وأَنَا الحَاشِرُ، وَنَبِيُّ المَلاحِمِ».

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٦٨) بسند حسن.

وقد صحَّ عن جابرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنما سمِّيْتُ قاسماً أقسِمُ بينكم» أخرجه البخاري (٣١١٤).

قال ابنُ الأعرابي: المقفِّي: المتَّبعُ للنبيين، وقال شِمْرٌ: المقفِّي: والعاقبُ واحدٌ، وهو المولِّي الذاهب، يُقالُ: قَفَّى عليه: إذا ذهبَ، فكان المعنى: أنه آخرُ الأنبياء، فإذا قفَّى، فلا نبيَّ بعده. فإن قيل: قد قال عليه السلامُ: «أنا نبيُّ الرَّحمةِ، ونبيُّ الملاحم» كيف وجهُ الجمع بينهما؟ وقال عليه السلامُ: «إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ» صححه الحاكم ١/ ٣٥ ووافقه الذهبي. وقال: «بُعثتُ بالرحمة»

أخرجه مسلم (٢٥٩٩). وقال جلَّ ذكره: ﴿وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٣] فكيف يكون مبعوثاً بالرحمة، وقد بُعِثَ بالسيف؟ قيل: هو مبعوثٌ بالرحمة، كما ذكر، وكما أخبر الله سبحانه وتعالى، وذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء عليهم السلام، وأيدهم بالمعجزات، فمن أنكر من تلك الأمم الحقَّ بعد الحُجة والمعجزة عُذِّبوا بالهلاك والاستئصال، ولكن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه عليه السلام بالجهاد معهم بالسيف، ليرتدعوا عن الكفر، ولم يُجتاحوا بالسيف، فإن للسيف بقيَّةً، وليس مع العذاب المنزل بقيَّةٌ. وقد روي أن قوماً من العرب قالوا: يا رسولَ الله أفنانا السيف، فقال: «ذلك أبقى لآخرِكمْ» فهذا معنى الرحمةِ المبعوث بها ذكرَهُ الخطَّابي.

ومما يؤيِّد ذلك حديثُ عائشةُ: إن الله سبحانه بَعثَ إليه ملَكَ الجبال، فقال: إن شئت أن أُطبقَ عليهم الأخْشَبَين، فقال رسولُ الله ﷺ: «بَل أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم مَنْ يعبُدُ الله وحدَه لا يُشرِكُ به شيئاً» أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

وهو مبعوثٌ بالرحمة أيضاً من حيث إنَّ الله وضع في شريعته عن أمَّته ما كان في شرائع الأمم السالفة عليهم من الآصار والأغلال، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه في قصة موسى عليه السلام: ﴿ورحمتي وَسِعتْ كلَّ شيءٍ فسأكْتُبها للذين يتَّقون﴾ [الأعراف: ١٥٦] إلى قوله: ﴿ويَضع عنهم إصْرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ [الأعراف: ١٥٧] وأعطى أمته في الأعمار القصيرة على الأعمال اليسيرة ضِعْفَ ما أعطى الأمم الماضية في الأعمار الطويلة على الأعمال الكثيرة الثقيلة، كما جاء في حديث ابن عمر: «إن اليهود والنصارى قالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل عطاءً؟ قال الله سبحانه وتعالى: فذلك فضلي أُوتيه مَنْ أشاء» أخرجه البخاري (٥٥٧). فقد أكمل الله سبحانه وتعالى على الخلائق بإرسال الرَّحمة، وأتمَّ عليهم النِّعمة، وأعظمَ عليهم المنَّةَ، فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

باب

خاتم النبوة

٣٤٦٨- عن الجعد بن عبدالرحمٰن قال: سَمِعْتُ السَّائِبَ بن يَزِيدَ يَقُولُ: ذَهبَتْ بِي خَالَتي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ فَمَسَحَ رَأْسِي، ودَعَا لِي بالبَرَكَةِ، وتَوَضَّأَ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، وَقُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الخَاتَمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فإذا هُوَ مِثْلُ زِرِّ الحَجَلَةِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٣٥٢)، ومسلم (٢٣٤٥). وأراد بزرِّ الحجَلة: الأزرار التي تشدُّ على ما يكون في حجال العرائس من الكِللِ والستور. قال الخطابيُّ: وسمعت من يقول: زرُّ الحجلةِ بيضةُ حجلِ الطير، يُقال للأنثى منها: الحَجلةُ، وللذكر: اليعقوبُ، وهذا شيءٌ لا أحِقُّه.

٣٤٦٩- عَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ قَالَ: رَأيتُ الخَاتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ غُدَّةً حَمْرَاءَ مِثْلِ بَيْضَةِ الحَمَامَةِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٤٤)، وقال: «مثل بيضة الحمامة يُشْبِه جسَدَهُ».

٣٤٧٠- عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ: رَأيتُ النَّبيَّ ﷺ، وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَأكَلْتُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرِبْتُ مِنْ شَرَابِه، وَرَأيتُ خَاتَمَ النُّبُوَّةِ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ اليُسْرَى، كَأَنَّهُ جَمْعُ خِيلَانٍ سُودٍ، كَأَنَّها ثآلِيلُ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٤٦).

نُغْضُ الكَتِفِ: هو العظمُ الرقيق على طرفها ، والناغض من الإنسان أصلُ العنق حيث يُنغض رأسه، وقيل: الناغض: فرعُ الكتف سمي ناغضاً لِتحركه، ومنه قولُه سبحانه وتعالى: ﴿فسيُنغضونَ إليك رؤوسهم﴾ [الإسراء: ٥١] أي: يحركونها على سبيل الهزء.

باب

صفة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٤٧١- عَنْ أنَس بْنِ مَالِكٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بالطَّويلِ البَائِنِ، وَلَا بالقَصِيرِ، وَلَيْسَ بِالأبْيَضِ الأمْهَقِ، وَلَيْسَ بِالآدَمِ، وَلا بِالجَعْدِ القَطَطِ، وَلَا بِالسَّبْطِ، بَعَثَهُ اللهُ عَلى رَأسِ أرْبَعِينَ سَنَةً، وَأقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِالمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللهُ عَلى رَأسِ سِتِينَ سَنَةً، وَلَيْسَ فِي رَأسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧).

قوله: «ليس بالأبيض الأمْهَق» الأمهَقُ: الشديدُ البياض الذي لا يخالطُ بياضه شيءٌ من الحمرة كلونِ الجصِّ. والجعد القططُ: الشديد الجعودة مِثل أشعار الحبش، والسَّبطُ: الذي ليس له تكسُّرٌ، يقول: هو جَعْدٌ رجِلٌ.

٣٤٧٢- عن أنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ ضَخْمَ الرَّأسِ وَالقَدَمَيْنِ لَمْ أرَ بَعدَهُ وَلا قَبْلَهُ، وَكَانَ بَسْطَ الكَفَّيْنِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٥٩٠٧).

٣٤٧٣- عن قتادة قال: سَألْتُ أنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ شَعَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: كَانَ شَعَرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجِلاً لَيْسَ بِالسَّبْطِ وَلَا الجَعْدِ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقِهِ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٥٩٠٥)، ومسلم (٢٣٣٨).

٣٤٧٤- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ شَعَرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى نِصْفِ أُذُنَيْهِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٣٨) (٩٤).

٣٤٧٥- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبْعَةً، وَلَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالقَصِيرِ، حَسَنَ الجِسْمِ، وَكَانَ شَعَرُهُ لَيْسَ بِجَعْدٍ وَلَا سَبِطٍ، أَسْمَرَ اللَّوْنِ إِذَا مَشَى يَتَوَكَّأُ.

أخرجه أبو داود (٤٨٦٣)، والترمذي (١٧٥٤) بإسنادٍ حسن.

قوله: رَبْعَةً: هو الرَّجُل بين الرَّجُلين، كما قال: ليس بالطويل ولا بالقصير.

٣٤٧٦- عنْ عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَلَا بِالقَصِيرِ، ضَخْمَ الرَّأسِ وَاللِّحْيَةِ، شَثْنَ الكَفَّيْنِ، مُشْرَبٌ حُمْرَةً، ضَخْمَ الكَرَادِيسِ، طَوِيلَ المَسْرُبَةِ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفِّياً، كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

حسن لغيره، أخرجه أحمد (٧٤٦)، والترمذي في «الشمائل» (٥)، و«الجامع» (٣٦٤١) وقال: هذا حديث صحيح.

قوله: شَثْن الكفين، أي: غليظهما، يُقال منه: شَثْن وشَثِن شَثَناً وشَثِنَ شَثَناً. قوله: مشربٌ حمرةً: إذا كانَ في بياضه حُمرةٌ.

قوله: ضخم الكراديس. أراد: ضَخمَ الأعضاء، والكراديس: رؤوس العظام، وقيل لكتائب الخيل: كراديس.

قوله: طويل المسرُبَةِ. وفي حديث هند بن أبي هالة: دقيق المسربة، فالمسربة: الشعر المستدقُّ من الصدر إلى السُرَّة. وقوله: إذا مشى تكفّأ تكفّياً،

أي: تمايل إلى قُدَّامٍ، كما تتكفأ السفينة في جريها، والصَّبَبُ: الحدور، وهو ما انحدر من الأرض وجمعه أصبابٌ، يريد: أنه كان يمشي مشياً قوياً يرفع رجليه من الأرض رفعاً بائناً لا كمن يمشي اختيالاً، ويقارب خطاه تنَعُّماً.

٣٤٧٧- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ فِي سَاقَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُمُوشَةٌ، وَكَانَ لَا يَضْحَكُ إِلَّا تَبَسُّماً، فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ، قُلْتُ: أَكْحَلُ العَيْنَيْنِ، وَلَيْسَ بِأَكْحَلَ.

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٢٢٧)، وفي «الجامع» (٣٦٤٨) وفي إسناده الحجاج بن أرطأة وهو مدلس وقد عنعن. وأخرجه أحمد (٢١٠٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠٢٤).

قوله: «الحموشة» هي الدِّقَّةُ.

٣٤٧٨- عن سماك بن حربٍ، قال: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَلِيعَ الفَمِ، أَشْكَلَ العَيْنَيْنِ، مَنهُوشَ العَقِبِ. قَالَ شُعْبَةُ بنُ الحجاج ـ راوي الحديث ـ: قُلْتُ لِسِمَاكٍ: مَا ضَلِيعُ الفَمِ؟ قَالَ: عَظِيمُ الفَمِ، قُلْتُ: مَا أَشْكَلُ العَيْنَيْنِ. قَالَ: طَوِيلُ شَقِّ العَيْنِ. قُلْتُ: مَا مَنْهُوشَ العَقِبِ؟ قَالَ: قَلِيلُ لَحمِ العَقِبِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣٩).

قال أبو عبيد في «غريب الحديث» ١/ ٣٨٩: الشُّكلةُ حُمرَةٌ في بياض العين، والشُّهلة: حُمرةٌ في سواد العين. ويُروى: منهوس القدمين بالسِّين غير المعجمة، ومعناهُ أيضاً: قليل لحمها، والنهس: أخذ ما على العظم من اللحم بأطراف الأسنان، والنهش بالأضراس، ويقال: نُهِشَتْ عضداه: إذا دقّتا.

٣٤٧٩- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ».

أخرجه الدارمي (٥٨)، والترمذي في «الشمائل» (١٥) وإسناده ضعيف فيه عبد العزيز بن أبي ثابت، ضعيف.

٣٤٨٠- عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُ شَعَرٌ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ، بَعِيْدُ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، لَمْ يَكُنْ بِالقَصِيْرِ، وَلَا بِالطَوِيلِ.

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣٧) (٩٢).

اللُّمَّةُ: دون الجمَّةِ سمِّيتْ لِمَّةً، لأنها ألمّت بالمنكبين، فإذا زادتْ، فهي الجُمَّةُ.

٣٤٨١- عَنْ البَرَاءِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعاً، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعَرٌ بَلَغَ شَحْمَةَ أُذُنِهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

٣٤٨٢- سُئِلَ البَرَاءُ بن عازب: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا بَلْ مِثْلَ القَمَرِ.

أخرجه البخاري (٣٥٥٢).

٣٤٨٣- عَنْ سعيد الجُريريِّ قال: سَمِعْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَما بَقِيَ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ رَآهُ غَيْرِي، قُلْتُ: صِفْهُ لِي، قَالَ: كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحاً مُقَصَّداً.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٤٠).

قوله: مُقَصَّداً، أي: ليس بجسيمٍ، ولا قَصيرٍ، قيل: هو القَصْدُ من الرِّجال نحو الرَّبْعةِ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ومنهم مُقتَصِد﴾ [لقمان: ٣٢] أي: بينَ الظالم لنفسه، والسابق بالخيرات.

٣٤٨٤-عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا رَأيتُ شَيئاً أحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأيْتُ أحَداً أسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَأنَّما الأرْضُ تُطْوَى لَهُ، إنَّا لَنُجْهِدُ أنْفُسَنَا، وَإنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ.

حديث حسن أخرجه أحمد برقم (٨٦٠٤)، والترمذي في «الشمائل» (١٢٤)، و«الجامع» (٣٦٤٨). وانظر تمام تخريجه والكلام عليه في «المسند».

٣٤٨٥- كَانَ عَلِيُّ بْنُ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا وَصَفَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: كَانَ أجْوَدَ النَّاسِ كَفّاً، وأَجْرأَ النّاسِ صَدْراً، وأصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأوْفَاهُمْ ذِمَّةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأكْرَمَهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَآهُ بَدِيْهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ فَعَرَفَهُ، أحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

أخرجه أبو الشيخ مختصراً في «أخلاق النبي » ﷺ (٨٧) وفي سنده انقطاع، وأخرجه بأتمَّ مما هنا الترمذي (٣٦٣٨) وقال: هذا حديث حسن غريب ليس إسناده بمتَّصل.

٣٤٨٦-عَنْ جَابِرٍ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: عُرِضَ عَلَيَّ الأنْبِيَاءُ، فَإذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَأنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأيْتُ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإذَا أقْرَبُ مَنْ رَأيْتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأيتُ إبْرَاهِيمَ، فَإذا أقْرَبُ مَنْ رأيْتُ بِهِ شَبَهاً صَاحِبُكُم يَعْنِي نَفْسَهُ، وَرَأيْتُ جِبْرِيلَ، فَإذَا أقْرَبُ مَنْ رَأيْتُ بِهِ شَبَهاً دِحْيَةُ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٧).

قوله: ضَرْبٌ من الرِّجال، يُقالُ: ضَرْبٌ، أي: خفيف اللحم.

باب

شَيْبِه وخِضابه صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٤٨٧- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: لَمْ يَبْلُغْ ذٰلِكَ، إنَّمَا كَانَ شَيْباً فِي صُدْغَيْهِ، وَلٰكِنْ أَبُو بَكْرٍ خَضَبَ بِالحِنّاءِ والكَتَمِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٥٨٩٤)، ومسلم (٢٣٤١).

٣٤٨٨- عَنْ أنسٍ قَالَ: مَا عَدَدْتُ فِي رَأسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِحْيَتِهِ إلّا أَرْبَعَ عَشْرَةَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ.

إسناده صحيح، أخرجه أحمد برقم (١٢٦٩٠)، وعبدالرزاق في «المصنف» (٢٠١٨٥).

٣٤٨٩- عَنْ سِماكِ بن حربٍ قال: قِيلَ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أكَانَ في رأسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْبٌ؟ قالَ: لَمْ يَكُنْ في رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْبٌ إلَّا شَعَرَات فِي مَفْرِقِ رَأسِهِ، إذَا ادَّهَنَ، وَارَاهُنَّ الدُّهْنُ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

٣٤٩٠- عن حَريز بن عثمان أنه سَألَ عَبْدَاللهِ بْنَ بُسْرٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ شَيْخاً، قَالَ: كَانَ فِي عَنْفَقَتِهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٤٦) . و«العَنْفَقَةُ» شُعيراتٌ بين الشَّفة السفلى والذَّقَنِ.

٣٤٩١- عَنِ ابنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ شَيْبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَحْواً مِنْ عِشْرِينَ شَعْرَةً.

هذا حديث حسن لغيره، أخرجه أحمد برقم (٥٦٣٣)، وابن ماجه (٣٦٣٠) وصحَّحه البوصيري في «الزوائد» ٣/٥٦، وابن حبان (٦٢٩٤) وانظر تمام تخريجه في «المسند».

٣٤٩٢- عن إياد بن لقيطٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو رِمْثَةَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مَعَ ابْنٍ لِي، فَقَالَ: «ابْنُكَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ أَشْهَدُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَجْنِي عَلَيْكَ، وَلَا تَجْنِي عَلَيْهِ» قَالَ: وَرَأَيْتُ الشَّيْبَ أَحْمَرَ.

أخرجه أحمد برقم (٧١٠٧)، والترمذي في «الشمائل» (٤٥)، وأبو داود (٤٢٠٨) وغيرهما بإسنادٍ صحيح.

وقال سفيان الثوري عن إياد بن لقيط العِجْلي، عن أبي رِمثةَ: أتيتُ النبيَّ عليه السلام، وكان قد لطخ لحيتهُ بالحنَّاء.

باب

طيب ريحه عليه السلام

٣٤٩٣- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ مِسْكَةً وَلَا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيئاً قَطُّ خَزَّةً وَلَا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٢٩).

وروي عن أنس، عن أم سُليم أن النبي ﷺ كان يأتيها، فيقيل عندها، فكانت تجمع عَرَقهُ، فَتجعله في الطِّيب، وكان كثيرَ العَرَق. أخرجه مسلم (٢٣٣٢).

٣٤٩٤- عَنْ جابرِ بنِ سَمُرَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إلى أهْلِه، وخَرَجْتُ مَعَهُ، فاسْتَقْبَلَهُ وِلدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أحدهم وَاحِداً وَاحِداً، قَالَ: وَأمَّا أنَا ، فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً أوْ رِيحاً كَأنَّمَا أخْرَجَهَا مِنْ جؤنَةِ عَطَّارٍ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٢٩).

«وجؤنَةُ العطار»: الوعاء الذي فيه متاعُه.

وفي مَسْحِه صلوات الله وسلامه عليه على الصبيان بيانُ حُسْن خُلُقه ورحمته للأطفال وملاطفتهم. وقد دلت هذه الأحاديث على بيان طيبه ﷺ وهو ممَّا أكرمه الله تعالى به، وكانت هذه صفته وإنْ لم يمسَّ طيباً، ومع هذا فكان يستعمل الطيب كثيراً مبالغة في طيب ريحه، لملاقاة الملائكة، وأخذ الوحي الكريم. ومجالسة المسلمين. أفاده النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ٨/ ٩٤.

٣٤٩٥- عن ثمامة بن عبدالله: أنَّ أُمَّ سُلَيْم كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبيِّ ﷺ نِطْعاً، فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلى ذٰلِكَ النِّطْعِ قَالَ: فَإذَا قَامَ النَّبيُّ ﷺ، أخَذتْ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعْرِهِ، فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ، ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِي سُكٍّ. قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ أنَسَ بْنَ مَالِكٍ الوَفَاةُ، أوْصَى أنْ يُجْعَلَ فِي حَنُوطِهِ مِنْ ذٰلِكَ السُّكِّ قَالَ: فَجُعِلَ فِي حَنُوطِهِ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٦٢٨١).

«النِّطْعُ»: بساطٌ يُتَّخذ من الجلد المدبوغ. و«السُّكُّ»: طيبٌ مركَّبٌ.

٣٤٩٦- عَنْ أنَسٍ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبيُّ ﷺ، فَقَالَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، فَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ العَرَقَ فِيْهَا، فاسْتَيْقَظَ

النَّبيُّ ﷺ، فَقَالَ: «يا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هٰذا الَّذي تَصْنَعِيْنَ؟» قَالَتْ: هٰذا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أطْيبِ الطِّيبِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣١).

قوله: «تَسْلُت»: أي: تَمْسحه وتتبعه بالمسحِ وهذا من خصوصياته ﷺ. انظر «الفتح» ١١/ ٧٩.

٣٤٩٧- عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا نَعْرِفُ رَسُولَ اللهِ ﷺ إذا أقْبَلَ بِطيبِ رِيحِه.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٢٢٦) وفي سنده ضعف لضعف عمر بن سعيد الأبح، قال البخاري: منكر الحديث.

باب
حُسْنِ خُلُقِه صلَّى الله عليه وسلَّم

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] قَالَ عَطيَّةُ العَوْفِيُّ: أدَبُ القُرْآنِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ.

٣٤٩٨- عن أبي إسحاق قال: سَمِعْتُ البَراء يَقولُ: كَانَ رسُولُ اللهِ ﷺ أحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً، وَأحْسَنَهُ خُلُقاً، لَيْسَ بِالطَوِيلِ البَائِنِ، وَلَا بِالقَصِيرِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٥٤٩).

٣٤٩٩- عن أنَس بنِ مالِكٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِيْنَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيءٍ صَنَعْتُه لِمَ صَنَعْتَه؟ وَلَا لِشَيءٍ تركْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أحْسَنِ النَّاسِ خُلُقاً،

وَلَا مَسِسْتُ خزّاً قَطُّ، وَلَاحَريراً، وَلَاشَيْئاً كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا شَمِمْتُ مِسْكاً، وَلَا عِطْراً كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رسُولِ اللهِ ﷺ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٣٠) و(٢٣٠٩).

٣٥٠٠- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِيْنَ لَيْسَ كُلُّ أمْري كَمَا يَشْتَهِي صَاحِبِي أنْ يَكُونَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَمَا قَالَ لِي: لِمَ فَعَلْتَ هٰذا، أو ألا فَعَلْتَ.

٣٥٠١- عَنْ عَبْدِالله بنِ عَمْرٍو قَالَ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِشّاً، وَكَانَ يَقُولُ: «خيَارُكُمْ أحَاسِنُكُمْ أخْلَاقاً».

أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

٣٥٠٢- عَنْ عائِشَةَ قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ شَيْئاً قَطُّ إلَّا أنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا ضَرَبَ خَادِماً وَلَا امْرأةً.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٢٨).

٣٥٠٣-عَنْ عَائشَةَ أنَّها قالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً، وَلَا سَخَّاباً فِي الأسْواقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئةِ السَّيِّئَةَ، وَلٰكِنْ يَعْفُو أوْ يَصْفَحُ.

أخرجه أحمد برقم (٢٥٤١٧)، وصحَّحه الترمذي (٢٠١٧) وهو كما قال.

الفاحش: ذو الفحش في كلامه. والمتفحش: الذي يتكلف ذلك ويتعمده.

٣٥٠٤- قَالَ أنَسٌ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَبَّاباً وَلَا فَحَّاشاً وَلَا لَعَّاناً، كَانَ يَقُولُ لِأحَدِنَا عِنْدَ المَعْتَبَةِ: «مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٦٠٤٦).

٣٥٠٥- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَد أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧).

وفي الحديث: بيانُ حِلْمه صلوات الله عليه وصَبْره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز عن جفاءِ منْ يُريد تألُّفه على الإسلام، ليتأسَّى به الولاةُ بعده في خُلُقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن. أفاده الحافظ في «الفتح» ١٠/ ٥٢٢.

٣٥٠٦- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَسْماً، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُرِيدَ بِهٰذا وَجْهُ اللهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوْذِيَ بِمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هٰذا، فَصَبَرَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

وروي عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ادْعُ على المشركين قال: «إني لم أبْعث لعَّاناً، وإنَّما بعثت رحمة» أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

بابُ
تواضعِه صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٠٧-عَنْ أنَسٍ أنَّ امرأةً عَرَضَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ المَدِينَةِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ لِي إلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلانٍ اجْلِسِي فِي أيِّ سِكَكِ المَدِيْنَةِ شِئْتِ أجْلِسُ إلَيْكِ» قَالَ: فَفَعَلَتْ، فَقَعَدَ إلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَها.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه مسلم (٢٣٢٦) من طريق ثابتٍ عن أنسٍ.

وأخرج البخاري (٦٠٧٢) معناه عن محمد بن عيسى، عن هُشيم، عن حميدٍ عن أنسٍ قال: كانت الأمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيدِ رسول الله ﷺ، فتنطلق به حيث شاءت.

٣٥٠٨-عن مسلم الأعور قال: سَمِعْتُ أنَساً يُحَدِّثُ عنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ كَانَ يَعُودُ المَرِيضَ، ويَتَّبِعُ الجِنَازَةَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ المَمْلُوكِ، ويَرْكَبُ الحِمَارَ، لَقَدْ رَأيْتُهُ يَوْمَ خَيْبَرَ عَلى حِمارٍ خِطَامُهُ لِيفٌ.

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٢٥) و«الجامع» (١٠١٧)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي » ص٦٢، وابن ماجه (٤١٧٨)، وسنده ضعيف لضعف مسلم الأعور، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مسلم عن أنس، ومسلم الأعور يضعف، وهو مسلم بن كيسان.

٣٥٠٩-عَنْ أنَسٍ قَالَ: رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَرْكَبُ الحِمَارَ العُرْيَ، وَيُجِيبُ دعوَةَ المَمْلُوكِ، وَيَنَامُ عَلى الأرضِ، وَيَجْلِسُ عَلى الأرْضِ، وَيَأكُلُ عَلى الأرْضِ، وَيَقُولُ: «لَوْ دُعِيتُ إلَى كُرَاعٍ جِئْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ».

إسناده ضعيف في سنده رَوَّاد بن الجراح والحسن بن عمارة، وكلاهما ضعيف. وأخرج الترمذي في «الشمائل» (٣٣) و«الجامع» (١٣٣٨) من طريق بشر ابن المفضل، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أهدي إلى كراع لقبلت، ولو دعيت عليه لأجبت» وقال: حديث حسن صحيح.

والحمارُ العُرْيُ: هو الذي ليس عليه شيءٌ يضعه الراكب تحته من إكافٍ أو بَرذعة.

٣٥١٠- عن عروة بن الزبير قال: سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ.

إسناده صحيح، أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٢٠٤٩٢) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٣).

قولها: يخصفُ نعله، أي يُطبِّق طاقة على طاقةٍ، وأصل الخَصْف: الجمع والضمُّ، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ [الأعراف: ٢٢] أي: يُطبقان على بدنهما ورقةً ورقةً.

٣٥١١- عن عَمرة بنت عبدالرحمٰن الأنصارية قالت: قِيلَ لِعَائِشَةَ: مَاذَا كَانَ يَعْمَلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ بَشَراً مِنَ البَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدِمُ نَفْسَهُ.

حديث حسن أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤١)، وأبو يعلى (٤٨٧٣). وفي سنده عبدالله بن صالح كاتب الليث وإن كان سَيِّئُ الحفظ قد تابعه عند أحمد (٢٦١٩٤) حماد بن خالد وسنده حسن.

٣٥١٢- عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الغَدَاةَ، جَاءَ خَدَمُ المَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيْهَا المَاءُ، فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيْهَا، فَرُبَّمَا جَاؤُوهُ فِي الغَدَاةِ البَارِدَةِ، فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٢٤).

٣٥١٣- عن الأسود قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ (تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ)، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ، خَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ: أخبرنَا شُعْبَةُ: فَإِذَا سَمِعَ الأَذَانَ، خَرَجَ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٦٠٣٩).

٣٥١٤- عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: دَخَلَ نَفَرٌ عَلى زَيْدِ ابْنِ ثَابِتٍ، فَقَالُوا لَهُ: حَدِّثْنَا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: مَاذَا أَحَدِّثُكُمْ كُنْتُ جَارَهُ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، بَعَثَ إِلَيَّ، فَكَتَبْتُهُ لَهُ، فَكَانَ إِذَا ذَكَرْنَا الدُّنْيا، ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الآخِرَةَ، ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الطَّعَامَ ذَكَرَهُ مَعَنَا، فَكُلُّ هٰذا أُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٤٤) وإسناده ضعيف، فيه الوليد بن أبي الوليد ليّن الحديث وسليمان بن خارجة لم يوثقه غير ابن حبان. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٨٨٢).

٣٥١٥- عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا صَافَحَ الرَّجُلَ، لَمْ يَنْزِعْ يَدَه مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذي يَنْزِعُ يَدَهُ، وَلَا

يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذي يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ، وَلَمْ يُرَ مُقَدِّماً رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ.

هذا حديث ضعيفُ الإسنادِ، أخرجه ابن ماجه (٣٧١٦) وآفته زَيْد العمي أحد رواته.

٣٥١٦- عَنْ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

قوله: «لا تطروني» الإطراءُ: مجاوزة الحدِّ في المدح والكذب فيه، وذلك أن النَّصارى أفرطوا في مدح عيسى وإطرائه بالباطل، وجعلوه ولداً، فمنعهم النبي ﷺ من أن يُطروه بالباطل.

٣٥١٧- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عُطَارِدِ بْنِ حَاجِبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَكَتَ فِي ظَهْرِهِ قَالَ: فَذَهَبَ بِي إِلَى شَجَرَةٍ فِيهَا مِثْلُ وَكْرَيِ الطَّيْرِ، فَقَعَدَ فِي أَحَدِهِمَا، وَقَعَدْتُ فِي الآخَرِ، فَنَشَأَتْ بِنَا حَتَّى مَلأَتِ الأُفُقَ، فَلَوْ بَسَطْتُ يَدِي إِلَى السَّماءِ، لَنِلْتُهَا، ثُمَّ دُلِّيَ سَبَبٌ، فَهَبَطَ النُّورُ، فَوقَعَ جَبْرِيلُ مَغْشِياً عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ حِلْسٌ، فَعَرَفْتُ فَضْلَ خَشْيَتِهِ عَلى خَشْيَتِي، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَبِيّاً عَبْداً، أو نَبِياً مَلِكاً وَإِلَى الجَنَّةِ مَا أَنْتَ، فأَوْمَى إِلَيَّ جَبْرِيلُ وَهُو مُضْطَجِعٌ: بَلْ نَبِياً عَبْداً.

هذا حديث مرسلٌ، وانظر ما بعده.

٣٥١٨- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ، لَسَارَتْ مَعِي جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ حُجْزَتَهُ لَتُسَاوِي

الكَعْبَةَ، فَقَالَ: إنَّ رَبَّكَ يَقْرَأ عَليكَ السَّلامَ، ويَقُولُ: إنْ شِئْتَ نَبيّاً عَبْداً، وَإنْ شِئْتَ نَبِيّاً مَلِكاً، فَنَظَرْتُ إلَى جِبْرِيلَ عَلَيْه السَّلامُ، فَأشَارَ إلَيَّ أنْ ضَعْ نَفْسَكَ، فَقُلْتُ: نَبِياً عَبْداً» قَالَتْ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذٰلِكَ لَا يأكُلُ مُتَّكِئاً، يَقُولُ: «آكُلُ كَمَا يأكُلُ العَبْدُ، وَأجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ».

حديث صحيح وهو في «أخلاق النبي» (٦١٠)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٩/ ١٩، وقال: رواه أبو يعلى وإسناده حسن مع أن فيه أبا معشر واسمه نجيح بن عبدالرحمٰن السندي وهو ضعيف، لكن يشهد له حديث ابن عباس الذي سيذكره المصنف، والمرسل الذي تقدم، وله شاهد مرسل بنحوه، أخرجه أحمد في «الزهد» ص ٥، ٦ من طريق جرير بن حازم، قال: سمعت الحسن يقول: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام، أمر به، فألقي على الأرض، وقال: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد» وسنده صحيح.

٣٥١٩- كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَدِّثُ أنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ أرْسَلَ إلَى نَبِيِّهِ ﷺ مَلَكاً مِنَ المَلائِكَةِ مَعَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ المَلَكُ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ يُخَيِّرُكَ بَيْنَ أنْ تَكُونَ عَبْداً نَبياً، وَبَيْنَ أنْ تَكُونَ مَلِكاً نَبِياً، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى جِبْرِيلَ كَالمُسْتَشِيرِ لَهُ، فَأشَارَ جِبْرِيلُ بِيدِهِ أنْ تَوَاضَعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا بَلْ عَبْداً نَبِيّاً» فَمَا أكَلَ بَعْدَ تِلْكَ الكَلِمَةِ طَعَاماً مُتَّكِئاً حَتَّى لَحِقَ بِالله عَزَّ وجَلَّ.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٦١١) وفي سنده علّتان: تدليس بقية بن الوليد، وانقطاع الواسطة بين محمد بن علي وأبيه فإنه لم يسمع منه، ولكنه يصلح شاهداً للحديث قَبْله.

بابُ
جوده صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٢٠-عن محمد بن المنكدر قال: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ يَقُولُ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيئاً، فَقَالَ: لا.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣١١).

٣٥٢١- عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ أَجْودَ النَّاسِ وَأَجْودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا لَقِيَهُ جبْرِيلُ أَجْوَدَ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨).

٣٥٢٢- عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ، وَأَجْودِ النَّاسِ، وأَشْجَعِ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ مَرَّةً، فَرَكِبَ فَرَساً لِأَبي طَلْحَةَ عُرْياً، ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ بَحْراً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٢٦٢٧)، ومسلم (٢٣٠٧).

قوله: فَزِعَ أهل المدينة، أي: استغاثوا، والفَزَعُ: بمعنى الخوف، ويكون بمعنى الإغاثة.

وقوله: «عُرْيٌ» يقال: فرَسٌ عُريٌ، وخيلٌ أعْراء، ولا يُقال: رجلٌ عُرْيٌ، ولكن عُرْيان. قوله: «لنْ تُراعوا» معناه: لا فزَعَ ولا روْعَ، فاسكنُوا، يُقال: رِيعَ فلانٌ: إذا فَزِعَ، ويُروى: «لمْ تُراعوا» وتضع العرب «لم» و«لن» بمعنى «لا».

٣٥٢٣- عن عمر بن محمد بن جُبير بن مطعم، عَنْ أبِيهِ قَالَ: لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ تَبِعَهُ الأعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، فَألْجؤُوهُ إلَى شَجَرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، وَهُوَ عَلى رَاحِلَتِهِ، فَقَالَ: «رُدُّوا عَلَيَّ رِدائِي أتَخْشَوْنَ عَلَيَّ البُخْلَ؟» فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هٰذِهِ العِضَاهِ نَعَماً، لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلَا جَبَاناً، وَلَا كَذَّاباً».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٢٨٢١).

و«العِضَاهُ» شَجَرٌ كثير الشوك.

٣٥٢٤- عَنْ أنسٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لَا يَدَّخِرُ شَيئاً لِغَدٍ.

إسناده قوي أخرجه الترمذي (٢٣٦٣)، وصحَّحَهُ ابن حبان (٦٣٧٨).

٣٥٢٥- عَنْ أنَسٍ: أنَّ رَجُلاً أتى النَّبيَّ ﷺ، فَسَألَهُ، فَأعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأتَى الرَّجُلُ قَوْمَهُ، فَقَالَ: أسْلِمُوا، فَإنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاء رَجُلٍ مَا يَخَافُ فَاقَةً.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣١٢).

والفاقة: الفقر والحاجة.

٣٥٢٦- عن سعيد بن المسيَّب أنَّ صَفْوانَ بْنَ أُمَيَّةَ قَالَ: أعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَإنَّهُ لأَبْغَضُ الخَلْقِ إلَيَّ، فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى إنَّهُ لأَحَبُّ الخَلْقِ إلَيَّ.

أخرجه مسلم (٢٣١٣)، والترمذي (٦٦٦) وغيرهما.

بابُ

حَيائِه وقِلَّةِ كَلامِه صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٢٧- عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ عَذْرَاءَ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً، رَأَيْنَاهُ فِي وَجْهِهِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

٣٥٢٨- عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيْثاً لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لأَحْصَاهُ.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

٣٥٢٩- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَوِيلَ الصَّمْتِ.

حديث حسن، أخرجه أحمد برقم (٢٠٨١٠)

٣٥٣٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هٰذا، وَلٰكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ بَيِّنٍ فَصْلٍ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ.

هذا حديث صحيح. أخرجه مسلم (٢٤٩٣)، وأبو داود (٣٦٥٥).

قولها: يَسْرُدُ سَرْدَكم، أي: يُتابعه، ومثله: فلانٌ يَسرُدُ الصيامَ سَرْداً، أي: يُواليه، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١] وهو متابعةُ حِلَقِ الدِّرْعِ شيئاً بعد شيءٍ حتى يتناسق، معنى التقدير في السَّرْدِ، أي: لا تجعل المسامير دِقاقاً، فَتَقْلَقَ، ولا غِلاظاً فتَنفصِم الحلَق.

باب

شجاعته صلَّى الله عليه وسلَّم

قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ وأَجْوَدِ النَّاسِ، وأَشْجَعِ النَّاسِ.

أخرجه الشيخان: البخاري (٣٠٤٠)، ومسلم (٣٠٧).

٣٥٣١- عنِ البَرَاءِ قَالَ: كُنَّا - واللهِ- إذَا احْمَرَّ البَأسُ، نَتَّقِي بِهِ يَعْنِي النَّبيَّ ﷺ، وإنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا الَّذي يُحَاذِي بِهِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٧٧٦).

٣٥٣٢- عَنْ عَليٍّ بن أبِي طَالِبٍ قَالَ: كُنَّا إذَا احْمَرَّ البَأسُ، وَلَقِيَ القَوْمُ القَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إلى العَدُوِّ مِنْه.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٠٦)، وأحمد برقم (١٣٤٧) وإسناده صحيح وتمام تخريجه في المسند.

قوله: احْمَرَّ البأسُ. أي: اشتدَّ الحرب، يقال: موتٌ أحمرُ، أي: شديد. وقوله: اتَّقَينا برسول الله ﷺ، أي: جعلناه واقية لنا من العدو.

٣٥٣٣- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ، وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إلَى العَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأساً.

أخرجه أحمد برقم (٦٥٤)، وابن أبي شيبة ١٤/ ٣٥٧ وإسناده صحيح، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

٣٥٣٤- عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَسمَحَ النَّاسِ.

أخرجه مسلم (٢٣٠٧).

باب

تبسمه صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٣٥- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُسْتَجْمِعاً قَطُّ ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ.

أخرجه البخاري (٦٠٩٢).

٣٥٣٦- عَنْ عَبْدِاللهِ بنِ الحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تَبَسُّماً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

حديث حسن، أخرجه أحمد برقم (١٧٧٠٤)، والترمذي (٣٦٤٢) وقال: حسن غريب. وله شاهدٌ عند أحمد (٢١٧٣٢) من حديث أبي الدرداء وفي سنده بقية بن الوليد. وقد دلت الأحاديثُ على وقاره ﷺ، وأنه لم يكن مفرطاً في الضحك الذي يذهب بالهيبة والسكينة.

بابُ

اختياره أيسر الأمرين صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٣٧- عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أنهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَم يَكُنْ إِثْماً، فَإِنْ كَانَ إِثْماً، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْه، ومَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمُ للهِ بِهَا.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٣٧).

باب
جامع صفاته صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٣٨- عَنْ حِزام بن هشام بن حُبَيْش صاحبِ رسول الله ﷺ قتيل البطحاء يوم الفتح، عن أبيه، عَنْ جَدِّهِ حُبَيْشِ بنِ خَالِدٍ - وَهُوَ أخو عَاتِكَةَ بِنْتِ خَالِدٍ، وَكُنْيَتُهَا أُمُّ مَعْبَدٍ - أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ أُخْرِجَ مِنْ مَكَةَ خَرَجَ مُهَاجِراً إلَى المَدِينَةِ هُوَ وَأبُو بَكْرٍ وَمَوْلَى أبِي بَكْرٍ عَامِرُ بْنِ فُهَيْرَةَ، وَدَلِيلُهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الأُرَيْقِطِ اللَّيْثِيُّ، مَرُّوا عَلى خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعِيَّةِ، وَكَانَتْ بَرْزَةً تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الخَيْمَةِ، ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ، فَسَأَلُوهَا لَحْماً وَتَمْراً لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ، وَكَانَ القَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِتِينَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الخَيْمَةِ، فَقَالَ: مَا هٰذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟ قَالَتْ: شَاةٌ خَلَّفَهَا الجَهْدُ عَنِ الغَنَمِ، قَالَ: هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَتْ: هِيَ أجْهَدُ مِنْ ذٰلِكَ، قَالَ: أتَأْذَنِينَ لِي أنْ أحْلُبَهَا، قَالَتْ: بِأبي أنْتَ وَأُمِّي إنْ رَأيْتَ بِهَا حَلَباً، فاحْلُبْهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَسَمَّى اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا، فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ، وَدَرَّتْ، وَاجْتَرَّتْ، فَدَعَا بِإنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ، فَحَلَبَ فِيهِ ثَجّاً حَتَّى عَلاَهُ البَهَاءُ، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوِيَتْ، وَسَقَى أصْحَابَهُ حَتَّى رَوُوا، ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُم، ثُمَّ أراضُوا، ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ ثَانِياً بَعْدَ بَدْءٍ حَتَّى مَلأَ الإنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا وَبَايَعَهَا، وَارْتَحَلُوا عَنْهَا، فَقَلَّمَا لَبِثَتْ حَتَّى جَاء زَوْجُهَا أبُو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أعْنُزاً عِجَافاً، يَتَسَاوَكْنَ هَزْلَى ضُحىً، مُخُّهُنَّ قَلِيلٌ، فَلَمَّا

رَأى أبُو مَعْبَدٍ اللَّبَنَ، عَجِبَ، وَقَالَ: مِنْ أيْنَ لَكِ هٰذَا اللَّبَنُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ، وَالشَّاءُ عَازِبٌ حِيَالٌ لَا حَلُوبَ فِي البَيْتِ؟ قَالَتْ: لَا وَاللهِ إنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وكَذَا، قَالَ: صِفِيْهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ قَالَتْ:

رَأيْتُ رَجُلاً ظَاهِرَ الوَضَاءَةِ، أبْلَجَ الوَجْهِ، لَمْ تَعِبْهُ نُحْلَةٌ، وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صُقْلَةٌ، وَسِيْمٌ قَسِيمٌ، فِي عَيْنِهِ دَعَجٌ، وَفِي أشْفَارِهِ وَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أزَجٌّ أقْرَنُ، إنْ صَمَتَ، فَعَلَيْهِ الوَقَارُ وَإنْ تَكَلَّمَ، سَمَا وَعَلاَهُ البَهَاءُ، أجْمَلُ النَّاسِ وَأبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأجْلاَهُ وَأحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ المَنْطِقِ، فَصْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذَرٌ، كَأنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ، رَبْعَةٌ لا يَأسَ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ، فَهُوَ أنْضَرُ الثَّلاثَةِ مَنْظَراً، وَأحْسَنُهُم قَدْراً، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ، إنْ قَالَ، أنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإنْ أمَرَ، تَبَادَرُوا لِأمْرِهِ، مَحْشُودٌ مَحْفُودٌ، لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ. قَالَ أبُو مَعْبَدٍ: هُوَ وَاللهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أمْرِهِ مَا ذُكِرَ بِمَكَّةَ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أنْ أصْحَبَهُ، وَلأَفْعَلَنَّ إنْ وَجَدْتُ إلَى ذٰلِكَ سَبِيلاً، وَأصْبَحَ صَوْتٌ بِمَكَّةَ عَالِياً يَسْمَعُونَ الصَّوتَ، وَلَا يَدْرُونَ مَنْ صَاحِبُهُ وَهُوَ يَقُولُ

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزائِهِ ... رفِيْقَيْنِ قَالَا خَيْمَتَي أُمِّ مَعْبَدِ
هُمَا نزَلَاهَا بِالهُدَى وَاهْتَدَتْ بِهِ ... فَقَدْ فَازَ مَنْ أمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
فَيَالَقُصَيٍّ مَا زَوَى اللهُ عَنْكُمُ ... بِهِ مِنْ فَعَالٍ لَا يُجَازَى وَسودَدِ
لِيَهْنِ بَني كَعْبٍ مَقَامُ فَتَاتِهِمْ ... ومَقْعَدُهَا لِلمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَأَنَائِهَا فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ عَلَيْهِ صَرِيحاً ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ
فَغَادَرَهَا رهْناً لَدَيْهَا لِحَالِبٍ يُرَدِّدُهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ

حديث حسن قوي أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٣/ ٩، ١٠ وصححه ووافقه الذهبي مع أن فيه هشام بن حبيش لم يذكر بجرح ولا تعديل، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٦/ ٥٥، ٥٨، وقال: رواه الطبراني، وفي إسناده جماعة لم أعرفهم، وأورده السيوطي في «الخصائص الكبرى» ١/ ٤٦٧، وزاد نسبته إلى البغوي، وابن شاهين، وابن السكن، وابن منده، والبيهقي، وأبي نعيم كلهم من طريق حزام بن هشام بن حبيش، عن أبيه، عن جده، وذكر له الحافظ ابن كثير طريقين آخرين في «بدايته» ٣/ ١٩٢، ١٩٤، وقال: وقصة أم معبد مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً.

قوله: بَرزةٌ، أي: هي كهلةٌ لا تحتجب احتجاب الشوابِّ. وقوله: مُرْمِلين: أي نَفِذ زادُهم، يقال: أرملَ الرجُل: إذا ذهب طعامُه.

وقوله: مُسنتِين، أي: أصابهم القحط، يُقال: أسنَتَ القومُ، فهم مُسنتِون. ويُروى: مُشْتِين، أي: أصابتهم المجاعة، وتجعل العرب الشتاء مجاعةً. ويقال مُشتِين: داخلين في الشتاء، يُقال: أشتى القوم: إذا دخلوا في الشتاء، وأصافوا: إذا دخلوا في الصيف.

وكِسرْ الخيمة: جانبٌ منها، وفيه لغتان كِسرٌ وكَسْرٌ مثل نِفطٍ وَنَفطٍ وَبِزْر وَبَزْرٍ.

وقولها: خلَّفها الجَهد، أيْ: الهُزال، يقال: جُهِدَ الرجُل فهو مجهُودٌ: إذا هُزِل. وقوله: فتفاجَّت، أيْ: فتحت ما بين رجليها للحلب.

قوله: دعا بإناءٍ يُرْبِضُ الرهط، أي: يُرويهم حتى يثقلوا فيربضوا وينامُوا، يقال أربضت الشمس: إذا اشتد حرُّها حتى تُربِضَ الوحش فِي كِناسها. والرهط: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وكذلك النَّفر، والعصبة: ما بين ذلك إلى الأربعين. وقوله:

فحلب فيه ثجاً. فالثجُّ: السّيلان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً﴾ [النبأ: ١٤]، أي: سيّالاً. وقوله: حتى علاه البهاء، يريد علا الإناء بهاءُ اللبن، وهو وَبيصُ رغوته، تريد أنه ملأه.

وقوله: ثم أراضوا، أي: شربوا عَلَـلاً بعد نَهل، مأخوذ من الروضة، وهو الموضع الذي يستنقع فيه الماء، يريد شربوا حتى رووا فنقعوا بالرِّيِّ، يقال: أراضَ الوادي، واستراض: إذا استنقع فيه الماء، ويقال: حتى أراضوا، أي: ناموا على الإراض، وهو البساط.

وقوله: يتساوَكْن هَزْلى، أي: تتمايل من الضعف والهزال، وفي رواية: تشارَكْنَ هَزلى، أيْ: عمَّهن الهزال، فاشتركنَ فيه، وفي رواية: لانِقْيَ بهنَّ، والنِّقيُ: المخُّ. قوله: والشاء عازبٌ، أي: بعيدٌ في المرعى، يقال: عَزَبَ فلانٌ، أي: بَعُدَ، والحيال: التي لم تحمل، يقال، حالت الشاة تحول حيالاً: إذا لم تحمل بعد الضِّراب.

وقولها: أبلجَ الوجه. تريد مُشرِقَ الوجه. مُضيئهُ، يقال: تبلَّجَ الصُّبح وانبلج: إذا أسفر، ولم تُرِدْ بَلجَ الحاجبِ ألا ترى أنها تصفه بالقرنِ.

وقولها: لم تَعِبْهُ نُحْلَةٌ، أي: دِقةٌ من نحول الجسم، ويُروى: ثجلةٌ بالثاء المثلثة والجيم، وهو عِظمُ البطن، يقال: رجلٌ أثجل، أي: عظيم البطن، وكذلك العنجلُ.

وقولها: ولم تُزْرِ به صُقلةٌ، أي: دقةٌ، وقيل: أرادت به أنه لم يكن منتفخَ الخاصرة جداً، ولا ناحلاً جداً، ولكن كان رجلاً ضرباً، والصُّقلة: الخاصرة، يقال: فرَسٌ صَقِيلٌ: إذا كان طويلها وهو عيبٌ تريد أنه رجلٌ ضَربٌ ليس بناحلٍ ولا مُنتفخٍ. ويروى: لم تَزْرِ به صَعْلةٌ بالعين وهي صغر الرأس، يقال للظليم: صَعْلٌ لصغر رأسه.

قولها: وسيمٌ قسيمٌ، فالوسيم: الحَسنُ الوضِيُّ، يُقال: وسيمٌ بيِّنُ الوَسامة، والقسيم: الحَسنُ أيضاً، والقسامة: الحُسنُ. والدَّعَج: السواد في العين وغيرِها.

وقولها: وفي أشفاره وطَفٌ أي: طولٌ: يقال: وَطِفَ، فهو أوطَفُ، ويُروى عَطَفٌ وغَطَفٌ بالعين والغين جميعاً، والمراد منه الطول أيضاً.

وقولها: وفي صوته صَهَلٌ، أي: حِدَّةٌ وصلابةٌ، ومنه صهيل الخيل، وفي روايةٍ صَحَلٌ، أي: بُحّةٌ وهو ألا يكون حادّ الصَّوتِ، وذلك حسنٌ إذا لم يكن شديداً.

وقولها: وفي عُنُقِهِ سَطَعٌ. أي: طولٌ، يقال: رجلٌ أسطعُ، وعُنُقٌ سطعاء: إذا كانت منتصبةً، ومنه قيل للصبح أول ما ينشقُّ مستطيلاً: سطعَ يسطعُ. وقولها: أزَجُّ أقرنُ، فالزَّججُ في الحاجب: تقوُّسٌ فيها مع طولٍ في أطرافها، وسبوغٍ فيها، والقرنُ: إلتِقاءُ الحاجبين. ويُروى في صفته عليه السلامُ خلافه عند هند بن أبي هالة: أزجُ الحواجب، سوابغُ من غير قرَنٍ.

وقولها: إنْ تكلم، سما. تريد علا برأسه، وارتفع من جلسائه.

وقولها: في صِفةِ مَنطِقِه: فصلٌ، أي: بيِّنٌ. لا نزرٌ ولا هَذَرٌ، تريد: وسَطٌ ليس بقليلٍ ولا كثير، فالنزْرُ: القليل، والهذَرُ: الكثير، وهو معنى صفته في حديث هندٍ: يتكلم بجوامع الكلِمِ فصلٌ لا فُضولٌ ولا تقصيرٌ. وقولها: لا يأسَ من طولٍ، معناه: أنَّ قامته لا يؤيس من طولها، لأنه كان إلى الطول أقرب، أي: ليس بالطويل الذي يؤيَس من مطاولته لإفراط طوله، كما في حديث أنسٍ: ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

وقولها: ولا تقتحمُه عينٌ من قِصرٍ، أي: لا تحتقره ولا تزدريه فيتجاوزَ منه إلى غيره، يُقال: اقتحمتْ فلاناً عيني: إذا احتقرَتْهُ واستصغرَتْهُ.

وقولها: محشودٌ محفودٌ. معناه: أنَّ أصحابه يجتمعون عليه، ويخدمونه، ويُسرعون في طاعته، يقال: رجلٌ محشودٌ عِنده حشدٌ من الناس، أي: جماعةٌ، والمحفود: المخدوم، والحَفدَةُ: الخدم. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنينَ وحفدَةً﴾ [النحل: ٧٢] أي: همْ بنون وهم خدمٌ، ويقال: الحفدة الأعوان، فأصله من حَفدَ يحفِد: إذا أسرع في سيره.

وقولها: لا عابسٌ، معناه: غير عابسِ الوجه. وقولها: ولا مُفنِّدٍ وهو الذي لا فائدة في كلامه لخَرفٍ أصابه، قال الله سبحانه وتعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام: ﴿لولا أن تُفَنِّدُون﴾[يوسف: ٩٤] أي: تخرِّفوني، تقولون: قد خرفت، وفي الحديث: « ما ينتظر أحدكم إلا هرماً مفنداً» أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وأخرجه الحاكم ٤/ ٣٢٠-٣٢١ وإسناده ضعيف، وفي رواية «ولا معتدٍ من الاعتداء» وهو الظلم. وقول الهاتفِ في الشِّعر: فيالَقُصيٍّ ما زوى الله عنكم. أي: باعدَ ونحَّى عنكم من الخير والفضل.

وقوله: فتحلَّبَتْ عليه صريحاً. ويُروى: فتحلَّبت له بصريحٍ، والصريحُ: اللبنُ الخالص الذي لم يُمذَقْ، ومنه قولهم: صَرَّحَ فلانٌ بالأمرِ: إذا كشفه وأوضحه. والضرَّةُ: لحم الضَّرع، أي: تحلَّبتْ ضُرَّة الشاة بلبنٍ مزبدٍ.

وقوله: فغادرها رَهْناً لديها لحالبٍ. يريد أنه ترك الشاة عندها مرتهنةً بأن تُدِرّ. والصوتُ الذي سمِعوا بمكة بالشعر: صوت بعض مسلمي الجنِّ، أقبل من أسفل مكة، والناس يتَّبعونه يسمعون الصوت، وما يَرَوْنه حتى خرج بأعلى مكة. قالت أسماء: فلما سمعناه، عرفنا حيث وجّه رسول الله ﷺ، وإنَّ وجهه إلى المدينة.

٣٥٣٩- عَنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ وَكَانَ وَصَّافاً عَنْ حِلْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئاً، فَقَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً، يَتَلأْلأُ تلأْلُؤَ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ، أَطْوَلَ مِنَ المَرْبُوعِ، وأَقْصَرَ منَ المُشَذَّبِ، عَظِيمَ القَامَةِ، رَجِلَ الشَّعْرِ، إِنِ انفَرَقَتْ عَقِيقَتُه، فَرَقَ، وَإِلَّا فَلَا يُجَاوِزُ شَعَرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ، إذا هُوَ وَفْرَةٌ، أَزْهَرُ اللَّوْنِ، وَاسِعُ الجَبِينِ، أَزَجُّ الحَواجِبِ، سَوابِغُ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ الغَضَبُ، أَقْنَى العِرْنِيْنِ، لَهُ

نُورٌ يَعْلُوهُ يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، سَهْلُ الخَدَّيْنِ، ضَلِيعُ الفَمِ، مُفَلَّجُ الأَسْنَانِ، دَقِيقُ المَسْرُبَةِ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ الفِضَّةِ، مُعْتَدِلُ الخَلْقِ، بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ، سَوَاءُ البَطْنُ والصَّدْرُ، عَرِيضُ الصَّدْرِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، ضَخْمُ الكَرَادِيْسِ، أَنْوَرُ المَتَجَرَّدِ، مُوَصَّلُ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعَرٍ يَجْرِي كَالخَطِّ، عَارِي الثَّدْيَيْنِ وَالبَطْنِ مِمَّا سِوَى ذٰلكَ، أَشْعَرُ الذِّراعَيْنِ والمَنكِبَيْنِ وأَعالي الصَّدْرِ، طَوِيلُ الزَّنْدَيْنِ، رَحْبُ الرَّاحَةِ، شَثْنُ الكَفَّيْنِ وَالقَدَمَيْنِ، سَائِلُ الأَطْرَافِ، أو قَالَ: شَائِلُ الأَطْرَافِ، خُمْصَانُ الأَخْمَصَيْنِ، مَسِيحُ القَدَمَيْنِ، يَنْبُو عَنْهُمَا المَاءُ، إِذَا زَالَ زَالَ قَلِعاً، يَخْطُو تَكَفِّياً، وَيَمْشِي هَوْناً، ذَرِيعُ المِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، فَإِذَا الْتَفَتَ، التَفَتَ جَمْعاً، خَافِضُ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ إِلَى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ المُلاحَظَةُ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ، يَبْدُرُ مَنْ لَقِيَ بِالسَّلامِ.

قَالَ الحَسَنُ: سَأَلْتُ خَالي، قُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: مُتَوَاصِلُ الأَحزَانِ، دَائِمُ الفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، طَوِيلُ السَّكْتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَتِحُ الكَلَامَ وَيَخْتَتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، فَصْلٌ لَا فُضُولٌ وَلَا تَقْصِيرٌ، لَيْسَ بِالجَافِي وَلَا المَهِينِ، يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ، وَإِنْ دَقَّتْ، لَا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئاً غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَاقاً وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا وَمَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُعُدِّيَ الحَقُّ، لَمْ يَقُمْ بِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، لَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إذا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَ تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا

تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا، وَضَرَبَ بِرَاحَتِهِ اليُمْنَى بَطْنَ إبْهَامِهِ اليُسْرَى، وَإذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ.

قَالَ الحَسَنُ: فَكَتَمْتُهُ الحُسَيْنَ زَمَاناً، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إلَيهِ، فَسَأَلَنِي عَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، وَوَجَدْتُهُ قَدْ سَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِهِ، وَعَنْ مَخْرَجِهِ وَشَكْلِهِ، فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئاً.

قَالَ الحُسَيْنُ: فَسَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: كَانَ إذَا أَوَى إلَى مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: جُزْءاً للهِ، وَجُزْءاً لِأَهْلِهِ وَجُزْءاً لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جُزْءاً جَزَّأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَيَرُدُّ ذٰلِكَ بِالخَاصَّةِ عَلى العَامَّةِ، وَلَا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئاً. وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الأُمَّةِ إيْثَارُ أَهْلِ الفَضْلِ بِأدَبِهِ وَقَسْمِهِ عَلى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّيْنِ، فَمِنْهُمْ ذُو الحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الحَاجَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ ذُو الحَوائِجِ، فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيما أَصْلَحَهُمْ وَالأُمَّةُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْهُمْ وَإخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ، وَيَقُولُ: «لِيُبَلِغ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إبْلَاغَهَا، فَإنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَاناً حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إبْلَاغَهَا، ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» لَا يُذكَرُ عِنْدَهُ إلَّا ذٰلِكَ، وَلَايَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ، يَدْخُلُونَ رُوَّاداً، وَلَا يَفْتَرِقُونَ إلَّا عَنْ ذَوَاقٍ، وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً، يَعْنِي عَلى الخَيْرِ.

قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَخْرَجِهِ: كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ؟ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُفَرِّقُهُمْ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ، وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِم، وَيُحَذِّرُ النَّاسَ، وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِي عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِشْرَهُ وَلَا خُلُقَهُ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ،

وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، وَيُحَسِّنُ الحَسَنَ وَيُـقَوِّمُهُ، وَيُقَبِّحُ القَبِيحَ وَيُوَهِّنُهُ، مُعْتَدِلُ الأمْرِ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ، يَغْفُلُ مَخَافَةَ أنْ يَغْفُلُوا أوْ يَمِيلُوا، لِكُلِّ حالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ، لَا يَقْصُرُ عَنِ الحَقِّ، وَلَا يُجَاوِزُهُ، الَّذِينَ يَلُوْنَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ، أفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أعَمُّهُمْ نَصِيْحَةً، وَأعظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً.

قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَقُومُ وَلَا يَجْلِسُ إلّا عَنْ ذِكْرٍ، وَإذَا انْتَهَى إلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ المَجْلِسُ، وَيَأمُرُ بِذٰلِكَ، يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ لَا يَحْسِبُ جَلِيسُهُ أنَّ أحَداً أكْرَمُ عَلَيْهِ مَمَّنْ جَالَسَهُ، وَمَنَ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إلَّا بِهَا، أوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ القَوْلِ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ، فَصارَ لَهُمْ أباً، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الحَقِّ سَوَاءً، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأمَانَةٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الأصْوَاتُ، وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الحُرَمُ يَتَعَاطَوْنَ فِيهِ بِالتَّقْوَى مُتَوَاضِعِينَ، يُوَقِّرُونَ فِيه الكَبِيرَ، وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ، وَيؤْثِرُونَ ذَا الحَاجَةِ، وَيَحْفَظُونَ الغَرِيبَ.

قال الحُسَيْنِ: سَأَلْتُ أبِي عَنْ سِيْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جُلَسَائِهِ، فَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ دَائِمَ البِشْرِ، سَهْلَ الخُلُقِ لَيِّنَ الجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ولا صَخَّابٍ، وَلَا فَحَّاشٍ، وَلَا عَيَّابٍ، وَلَا مَدَّاحٍ، يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي، وَلَا يُؤْيَسُ مِنْهُ، وَلَا يُجِيبُ فِيهِ، قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ: الرِّيَاءِ وَالإكْثَارِ، وَمَا لا يَعْنِيهِ ، وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلَاثٍ: لَا يَذُمُّ أحَداً وَلَا يَعِيبُهُ، وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ، لَا يَتَكَلَّمُ إلَّا فِيما رَجَا ثَوَابَهُ، وَإذَا تَكَلَّمَ، أطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ، كأنَّما على رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فإذا سَكَتَ،

تَكَلَّمُوا، لا يَتَنازَعُونَ عِنْدَهُ الحَدِيثَ، مَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ ، أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ، حَدِيثُهُم عِنْدَهُ حَدِيثُ أَوَّلِيَتِهِمْ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلى الجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسْأَلَتِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ أَصْحَابُهُ لِيَسْتَجْلِبُونَهُمْ، وَيَقُولُ: «إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ حَاجَةٍ يَطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ» وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ، وَلَا يَقْطَعُ عَلى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَ، فَيَقْطَعَهُ بِنَهيٍ أَوْ قِيَامٍ. وَقَالَ غَيْرُ سُفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ عَنْ جُمَيْعٍ: وَإِذَا غَضِبَ، أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ، غَضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبَّةِ الغَمَامِ.

أخرجه الترمذي في مواضع متفرقة من «الشمائل» (٨، ٢٢٦، ٣٣٧) وإسناده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع، وجميع بن عمير وفيه مجهولان.

٣٥٤٠- عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ، فَسَاقَ الحَدِيثَ وَقَالَ: كَانَ لا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا ذَكَرَ اللهَ، لَا يُوطِنُ الأَمَاكِنَ، وَيَنْهَى عَنْ إِيْطَانِهَا، وَقَالَ: لَا يَحْسِبُ أَحَدٌ مِنْ جُلَسَائِهِ أَنَّ أَحَداً أَكْرَمُ مِنْهُ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ لِحَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُنْصَرِفَ، وَقَالَ: وَلَا تُؤبَنُ فِيهِ الحُرَمُ، وَلَا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ، مُعْتَدِلِينَ يَتَوَاصَوْنَ فِيهِ بِالتَّقْوَى. وَقَالَ: قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ: المِرَاءِ وَالإِكْثَارِ وَمَا لَا يَعْنِيهِ. وَزَادَ فِي آخِرِهِ قَالَ: فَسَأَلْتُهُ: كَيفَ كَانَ سُكُوتُهُ؟ قَالَ: كَانَ سُكُوتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلى أَرْبَعٍ: عَلى الحِلْمِ والحَذَرِ وَالتَقْدِيرِ وَالتَفْكِيرِ، فَأَمَّا تَقدِيرُهُ، فَفِي تَسْوِيَتِهِ النَّظَرَ وَالاسْتِمَاعَ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَمَّا تَفْكِيرُهُ، فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى، وَجُمِعَ لَهُ الحِلْمُ والصَّبرُ، فَكَانَ لَا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ وَلَا يَسْتَفِزُّهُ،

وَجُمِعَ لَهُ الحَذَرُ فِي أَرْبَعَةٍ: أَخْذِهِ بِالحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ، وَتَرْكِهِ القَبِيحَ لِيُتَنَاهَى عَنْهُ، وَاجْتِهَادِهِ الرَّأيَ فِيما أَصْلَحَ أُمَّتَهُ، وَالقِيَامِ فِيما خِيرَ لَهُمْ فِيما يَجْمَعُ لَهُمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي»: ١٨ وإسناده ضعيف كسابقه.

قوله: كان فَخماً مُفخماً. أي: كان عظيم القدْرِ مُعظماً في الصدور والعيون، ولم يُرِدْ به ضخامة الجسم. قال أبو عُبيدٍ: الفخامة نُبْلُهُ وامتلاؤُه مع الجمال والمهابةِ.

قوله: أطْولَ من المربوع. المربوع والرَّبْعَةُ: هو الرجُل بين الرَّجُلين، والمشذَّبُ: الطويل البائن الطول، وأصل التشذيب: التفريق، يقال: شذَبْتُ المالَ: إذا فرقَّتُه، فالمفرَّط في الطول، كأنه فُرِّق خَلقُهُ ولم يجتمع.

قوله: إنِ انفرقتْ عقيقتُه، فَرَقَ. فالعقيقة: اسمٌ للشعر الذي يخرُج المولودُ من بطن أمه وهو عليه، سُمِّي عقيقةً، لأنه يُحلق، وأصل العقِّ: الشقُّ والقطْعُ، ومنه قيل للذبيحة التي تذبح عند الولادة: عقيقةٌ، لأنه يُشقُّ حُلقومها، ثم قيل للشَّعر الذي ينبت بعد ذلك الشَّعر: عقيقة أيضاً على طريق الاستعارة، وذلك معناه ها هنا، يقول: إنِ انفرَق شَعرُ رأسه من ذات نفسه، فرقه في مَفرِقه، وإن لم يَنفرقْ، تركهُ وَفْرَة واحدةً على حالها، يقال: فَرقتُ الشيءَ أفْرقُهُ فَرقاً. وقيل: العقيقةُ اسمٌ للشَّعر قبل أن يُحلقَ، فإذا حُلِقَ ثم نَبَتَ. زال عنه اسم العقيقة، وسُمِّيَ شَعرهُ عليه السلام عقيقةً، لأنَّ عقيقته كانت على رأسه لم يُنقل أنه كان قد حُلقَ في صِباه. ويُروى: إنِ انفرقتْ عقيصته، فَرَقَ، والعقيصة: الشَّعر المعقوص، وهو نحوٌ من المضفور، والوَفرةُ: الشَّعَرُ إلى شَحمة الأذن، والجُمَّةُ إلى المنكب، واللِّمَّةُ: التي ألمَّتْ بالمنكبين.

قوله: أزْهَرُ اللون، أي: نيِّر اللون، والزُّهرة: البياض النيِّر وهو أحسن الألوان. وقوله: بينهما عِرْقٌ يُدِرُّهُ الغضب. يعني بين حاجبيه عِرْقٌ يمتلىءُ دماً إذا

غضب، يقال: درَّت العروق: إذا امتلأتْ دماً، كما يقال: درَّ الضَّرع إذا امتلأ لبناً.

قوله: كثُّ اللحية. الكثُوثةُ فيها: أن تكون غير دقيقة ولا طويلة، ولكن فيه كثافةٌ. وقوله: ضليع الفم. يقال: عظيم الفم، والعرب تحبُّ ذلك، وتذمُّ صِغَرَ الفمِ، ومنه قوله في وصف كلامه: يَفتتح الكلامَ، ويختتمه بأشداقه، وقيل في ضليع الفمِ شدَّةُ أسنانه وتراصفُها.

وقوله: مُفلَّج الأسنان. أراد أفلجَ الأسنان، والفلج: فُرجَةٌ بين الثنايا والرُّباعيات.

وقوله: دقيقُ المسرُبةِ، فالمسرُبةُ: الشَّعرُ المستدِقُّ ما بين اللَّبَّةِ إلى السُّرَةِ، كما ذكر بعده مُوصَّلٌ ما بين اللبَّةِ بشعَرٍ يجري كالخطِّ.

قوله: عاري الثديين، ويروى: عاري الثَّندوَتيْنِ. يريد أنه لم يكن على ذلك الموضع منه شَعَرٌ، وقيل: أراد أنه لم يكن عليهما كثير لحمٍ، والثَّنْدُوَةُ للرجُل كالثديِ للمرأةِ منْ ضَمَّ الثاءَ منها همزها، ومَنْ فتحها، لم يَهمِز الواو.

وقوله: كأنَّ عُنُقَه جيدُ دُمْيةٍ. الدُّميةُ: الصورة المصوَّرةُ، وجمعها دُمىً. وقَوْله: بادِنٌ مُتماسِكٌ. أي: معتدلُ الخَلق يُمسِكُ بعضُ أعضائهِ بعضاً، ليس المراد منه بدانة السِّمَنِ، ولا ضخامةَ البدنِ بدليل قوله: سَواء البطن والصدر. ضخم الكراديس أي: الأعضاء.

وقوله: أنورُ المتجردِ، أي: مُشرقُ الجَسدِ، والمتجرِّد من جسده: الذي تجرَّد عنه الثياب، والأنور: النيِّر، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وهو أهونُ عليه﴾ [الروم: ٢٧] أي: هيِّنٌ عليه، رَحبُ الرَّاحةِ: واسع الكفِّ. شَثْنُ الكفَّينِ: غليظهما.

قوله: سائلُ الأطرافِ أي: ممتدُّ الأصابع وهي بالسين غير المعجمة، ورواه بعضهم «ساينَ» بالنون، ومعناهما واحدٌ، مثل جبريل وجبرين.

وقوله: خُمصانُ الأخمصين، الأخمص من القدم: الذي لا يلصق بالأرضِ في الوطء من باطنها، أراد أن ذلك الموضع من رجله كان شديدَ التجافي عن الأرض، وأنه لم يكن «أرْوَحَ» وهو الذي يَستوي باطن رجله. وسُمِّي الأخمصُ أَخْمَصَ لضموره، ودخوله في الرِّجل. قوله: مَسيحُ القدمين. يريد استواءهما من غير وَسخٍ، ولا شُقاقٍ، ولا تكسُّرٍ فيهما فإذا أصابهما الماء، نبا عنهما، وقيل: أراد به الملاسة واللين.

قوله: إذا زال، زال قَلِعاً. بفتح القاف وكسر اللام يريد: يرفع رجليه رفعاً بائناً يخطو تكفّياً، ويروى تكفؤاً، فالانحدار من الصَّبب. والتكفُّؤ إلى قدَّامٍ، والتقلُّع من الأرضِ قريبٌ بعضه من بعضٍ، والمراد منه القوة في المشي برفع الرِّجلين، وامتداد الخطى، لا كمن يمشي مختالاً، وهي المِشيةُ المحمودةُ للرجال.

وقوله: ذريع المِشية، أي: سريع المشي، واسع الخَطو، ولم يكن بحيث يتبين منه في هذه الحال استعجالٌ ومبادرة شديدةٌ، ألا تراه يقول: ويمشي هَوْناً. والهوْن معناه: الترفق والتثبت، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿يمشون على الأرض هوناً﴾ [الفرقان:٦٣] قال مجاهد: بالسكينة والوقار يدلُّ عليه حديث أبي هريرة: إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مُكترثٍ.

وقوله: إذا التفتَ التفتَ جَمعاً، ويروى: جميعاً، يريد: لا يلوي عنقه يُمنةً ويُسرةً ناظراً إلى الشيءِ، وإنَّما يفعل ذلك الطائشُ الخفيفُ، ولكن يُقبل جميعاً، ويدبر جميعاً. قوله: جُلُّ نظره الملاحظة وهو أن ينظر الرجُل بلِحاظ عينه إلى الشيءِ شَزْراً، وهو شقُّ العين الذي يلي الصَّدغ، فأما الذي يلي الأنف، فهو الموقُ والماقُ، يقال: لَحَظَ إليه وَلحَظه: إذا نظر إليه بمؤخر عينه.

قوله: يتكلم بجوامع الكلم. يريد: كثير المعاني، قليل الألفاظ، ومنه قوله عليه السلام: «أوتيت جوامع الكلم» أخرجه البخاري (٧٠١٣) وقيل: معنى قوله: «أوتيت جوامع الكلم» يعني القرآن جمع الله تعالى بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة.

قوله: ليس بالجافي، ولا المَهين، أي: ليس بالغليظ الخِلقة، ولا المحتقر، كما قال أنس: ليس بالطويل البائن، ولا القصير. وفي رواية علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام: ليس بالطويل الممغَّط، ولا القصير المتردِّد. ويروى: ولا المُهين برفع الميم، فيكون معناه: ليس بالذي يجفو أصحابه ويهينهم.

وقوله: لم يكن يذمُّ ذواقاً. أي: شيئاً مما يُذاق ويقع على المأكول والمشروب فعالٌ بمعنى مفعولٍ.

وقوله: إذا غضَب، أعرض وأشاح، أي: أقبل. وقوله: ثم جزَّأ جُزأه بينه وبين الناس فيردّ ذلك بالخاصة على العامة. معناه: أن العامة لا تصِلُ إليه في هذا الوقت، بل يدخل عليه الخاصة، ثم تخبر العامةَ بما سمعت من العلوم منه، فكأنه عليه السلام أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة. وقيل: قوله بالخاصة، أي: من الخاصة، أي: يجعل وقت العامة بعد الوقت الذي يخصُّ به الأهل، فإذا انقضى ذلك الزمان، ردَّ الأمر من الخاصة إلى العامة، فأفادهم.

قوله: يدخلون روَّاداً. جمع رائد وهو الطالب، أي: يدخلون عليه طالبين العلم، وملتمسين الحكم من جهته.

قوله: ولا يفترقون إلا عن ذواق. أصل الذواق من الطعم، ولكن ضَربه مثلاً لما ينالون عنده من الخير، قيل: أراد لا يفترقون إلا عن علم يتعلمونه يقوم لهم مَقامَ الطعام والشراب.

وقوله في وصف مجلسه «لا تُؤْبَنُ فيه الحُرَم» أي: لا تذكرن بقبيح، كان مجلسه مصوناً عن رفث القول، وفحش الكلام، ومنه قوله عليه السلام في حديث الإفك المتفق عليه: «أشيروا عليَّ في أناس أبَنوا أهلي» أي: اتهموها، والأبنُ: التهمةُ، يقال: أبَنَ يأبِنُ: إذا اتهم.

قوله: «لا يقبل الثناء إلا من مكافىءٍ» قال القتيبيُّ: معناه: أنه إذا أنعم على رجلٍ نعمةً، فكافأهُ بالثناءِ عليه، قبِلَ منه، وإذا أثنى عليه قبل أن يُنعِم عليه، لم

يقبله. قال أبو بكر الأنباريُّ: هذا غلطٌ، لأن أحداً لا ينفك من إنعام رسولِ اللهِ ﷺ إذِ الله بعثه إلى الناسِ كافةً، ورحم به، وأنقذ به، فنعمته سابقةٌ إليهم، لا يخرج منها مُكافىء، ولا غير مكافىء، هذا فالثناء عليه فرضٌ لا يتمُّ الإسلام إلا به، وإنما المعنى أنه كان لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقةَ إسلامه، ولا يدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فإذا كان المثني عليه بهذه الصفة، قُبِل ثناؤُه، وكان مُكافئاً ما سلف من نعمة النبي ﷺ عنده. قال الأزهريُّ: وفيه قول ثالث إلا من مُكافىءٍ، أي: مُقارنٍ في مدحه غير مجاوز به حدَّ مثله، ولا مُقصِّرٍ به عمَّا رفعه الله إليه، ألا ترى أنه يقول: «لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا: عبدُ الله ورسولُه» أخرجه البخاري (٦٨٣٠) فإذا قيل: نبيُّ الله ورسوله، فقد وُصِفَ بما لا يجوز أن يوصف به أحدٌ من أمته، فهو مدحٌ مكافىءٌ له.

وقوله: ولا تُنْثَى فَلتاتُه. أي: لا تذاع ولا تُشاع فلتاتُه، أي: زلاتُه، معناه: لم يكن في مجلسه فلتاتٌ فَتُنْثَى.

قوله: يَفترُّ عن مثل حبِّ الغمام. يريد أنه يكْشِرُ حتى تبدو أسنانُه من غير قهقهةٍ، من قولك: فررْتُ الدَّابةَ أفُرُّها: إذا كشفت عن أسنانها لتعرفها. وأراد بحبِّ الغمام: البردَ شبَّه به بياضُ أسنانِه.

٣٥٤١- عن عمر بن عبدالله مولى غفرة، حَدَّثَنِي إبْراهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا وَصَفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ المُمَغَّطِ، وَلَا بِالقَصِيرِ المُتَرَدِّدِ، كَانَ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ، لَمْ يَكُنْ بِالجَعْدِ القَطَطِ، وَلَا بِالسَّبِطِ، كَانَ جَعْداً رَجِلاً، وَلَمْ يَكُنْ بِالمُطَهَّمِ، وَلَا بِالمُكَلْثَمِ، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ أَبْيَضُ مُشْرَبٌ، أَدْعَجُ العَيْنَيْنِ، أَهْدَبُ الأَشْفَارِ، جَلِيلُ المُشَاشِ وَالكَتِدِ، أَجْرَدُ، ذُو مَسْرُبَةٍ، شَثْنُ الكَفَّيْنِ

وَالقَدَمَيْنِ، إِذَا مَشَى، تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ فِي صَبَبٍ، وَإِذا التَفَتَ، التَفَتَ مَعاً، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتِمُ النُّبُوةِ، وَهَوَ خَاتِمُ النَّبِيِّيْنَ، أَجْوَدُ النَّاسِ صَدْراً، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَآهُ بَدِيْهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ. يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

أخرجه الترمذي (٣٦٣٨) وفي «الشمائل» (٧) بسندٍ ضعيف لضعف عمر بن عبدالله وكثرة إرساله. وأيضاً فإن إبراهيم بن محمد لم يسمع من جدِّه علي رضي الله عنه.

قال أبو عيسى: سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول: سمعت الأصمعي في تفسير صفة النبي ﷺ الممغَّط: الذاهب طولاً بالغين المعجمة، وقيل بالعين والغين جميعاً، يقال: امَّعَطَ النهار: إذا امتدَّ، وامَّعَطَ الحبْل وامَّغطَ، والمتردد: الداخل بعضه في بعض قِصَراً، وأمَّا القطَطُ، فشديد الجُعودَةِ، والرَّجِلُ: الذي في شَعره حجونةٌ، أي: تَثَنٍّي قليلاً، والمطهَّمُ: البادن الكثير اللحم، والمكلثم: المدوَّر الوجه يقول: ليس كذٰلك، ولكنه مسنون، وقيل: المكلثمُ من الوجوه القصير الحنك، الدَّاني الجبهة، المستدير الوجه، ولا يكون إلا مع كثرة اللحم. والمُشرَّبُ: الذي في بياضه حُمرةٌ، والأدْعَجُ: الشديد سواد العين، والأهدبُ: الطويل الأشفار، والكَتِدُ: مجتمعُ الكتفين وهو الكاهل والمَسْرُبَةُ: هو الشّعر الدقيق الذي كأنه قضيبٌ من الصدر إلى السُّرةِ. والشَّثْنُ: الغليظ الأصابعِ من الكفين والقدمين. والتقلُّعُ: هو أن يمشي بقوَّةٍ، والصَّبَبُ: الحُدور. جليل المُشاشِ: يريد عظيم رؤوس المناكب والعظام، والمُشاشُ: رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين. والعِشرَةُ: الصحبةُ، والعشيرُ: الصاحبُ، والبديهةُ: المفاجأة تقول: بَدَهْتُهُ بأمرٍ: فَجأتُهُ.

بابُ

علامات النبوة

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة:٣٣]. قَالَ الشَّافِعِيُّ في «الأُمِّ» ٤/ ٩٣: فَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ رَسُولَهُ عَلى الأَدْيَانِ بِأَنْ أَبَانَ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَ أَنَّهُ الحَقُّ، وَمَنْ خَالَفَهُ مِنَ الأَدْيَانِ بَاطِلٌ، وَأَظْهَرَهُ بِأَنَّ جِمَاعَ الشِّرْكِ دِينَانِ: دِينُ أَهْلِ الكِتَابِ، وَدِينُ أُمِّيِّينَ، فَقَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الأُمِّيِّينَ حَتَّى دَانُوا بِالإِسْلَامِ طَوْعاً وَكَرْهاً، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَسَبَى حَتَّى دَانَ بَعْضُهُمْ بِالإِسْلامِ، وَأَعْطَى بَعْضٌ الجِزْيَةَ صَاغِرِينَ، وَجَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَهٰذا ظُهُورُهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ. قَالَ: وَيُقَالُ: وَيُظْهِرُ دِينَهُ عَلى الأَدْيَانِ كُلِّها حَتّى لَا يُدَانَ اللهُ إِلَّا بِهِ، وَذٰلِكَ مَتَى شَاءَ اللهُ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ﴾ [صٓ:٨٨] يَعْنِي نَبَأَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ مَنْ عَاشَ عَلِمَهُ لِظُهُورِهِ، وَتَمَامِ أَمْرِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة:٣٣] وَمَنْ مَاتَ، عَلِمَهُ يَقِيناً.

وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء:٨٨].

جَعَلَ اللهُ القُرْآنَ دِلَالَةً عَلى نُبُوَّتِه، أعْجَزَ الخَلْقَ عَنِ الإتْيَانِ بِمِثْلِهِ، أو مِثْلِ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَأبْقَاهُ فِي أُمَّتِهِ إلَى قِيامِ السَّاعَةِ، لِيَكُونَ حُجَّةً عَلى مَنْ جَاء بَعْدَهُ مِمَّنْ لَمْ يَرَهُ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

٣٥٤٢- عَنْ أنَسٍ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أتَاهُ جِبرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأخَذَهُ، فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هٰذَا حظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ وأعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ، فَقَالُوا: إنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أنَسٌ: فَكُنْتُ أرَى أثَرَ المَخِيطِ فِي صَدْرِهِ وَرُبَّمَا قَالَ حَمَّادٌ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أتَاهُ آتٍ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٢) (٢٦١).

قوله: مُنتقعُ اللون. يقال: انتُقِعَ لونُهُ وامْتُقِعَ وابتُسِرَ بمعنى واحدٍ. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وجوهٌ يومئذٍ باسرةٌ﴾[القيامة: ٢٤] أي: مُتكرِّهةٌ مقطبةٌ.

٣٥٤٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إنِّي لأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أنْ أُبْعَثَ، وَإنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ.

هٰذَا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٢٧٧) وفي هٰذا معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ اللهِ ﷺ، وقد دَلَّ الحديثُ على إثبات التمييز في بعض الجمادات.

٣٥٤٤- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَرُحْنَا في نَوَاحِيهَا خَارِجاً مِنْ مَكَّةَ بَيْنَ الجِبَالِ والشَّجَرِ، فَلَمْ يَمُرَّ بِشَجَرَةٍ وَلَا جَبَلٍ إلَّا قَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

هذا حديث غريبٌ أخرجه الترمذي (٣٦٣٠) وفي سنده ضعيفٌ ومجهولٌ.

٣٥٤٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمْ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا.

هذا حديثٌ صحيح متفق عليه أخرجه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم(٢٨٠٢).

قال جماعةٌ من المنكرين على هذا الحديث: هذا أمرٌ عجيبٌ، ولو كان له حقيقةٌ، لم يخفَ ذلكَ على العوامِّ، ولتناقلته القرون، ولخُلِّدَ ذِكْرُهُ في الكتب، وذَكَرَه أهْلُ العناية بالسِّير والتواريخ.

قيل لهم: هذا شيءٌ طلبه قومٌ خاصٌّ على ما حكاه أنسٌ، فأراهم ذلك لَيلاً وأكثر الناسِ نِيامٌ، ومستكِنُّون بالأبنيةِ والأيقاظ في البوادي، والصحاري قد يتفق أن يكونوا مشاغيل في ذلك الوقت، وقد يُكْسفُ القمر، فلا يشعر به كثيرٌ من الناس، وإنَّما كان ذلك في قدْر اللحظة التي هي مُدرك البصر، ولو دامت هذه الآية حتى يشترِك فيها العامةُ والخاصة، ثم لم يؤمنوا، لاستؤصِلوا بالهلاك، فإنَّ من سنة الله تعالى في الأمم قبلنا أنَّ نبيَّهم كان إذا أتى بآية عامَّةٍ يُدركُها الحسُّ، فلم يؤمنوا أهلِكوا ، كما قال الله سبحانه وتعالى في المائدة: ﴿إنِّي مُنزِّلها عليكم فمن يكفُرْ بعدُ منكم فإنِّي أعذِّبه عذاباً لا أُعذِّبه أحداً من العالمين﴾ [المائدة: ١١٥] فلم يظهر الله سحانه وتعالى هذه الآية للعامَّة لهذه الحكمة. والله أعلم وله الحمد.

٣٥٤٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :«هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هاهُنَا، فَوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ، وَلَا رُكُوعُكُمْ، إنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤١٨)، ومسلم (٤٢٤).

قال المازري في «المعلم» ١/٢٦٦: قال بعضُ المتكلمين: يمكن أن يكون خلق الباري إدراكاً في قفاه ﷺ أبصر به مَنْ وراءه، وقد انخرقت له العادةُ بأكثر من هذا فلا يستنكر هذا، وإنَّما يستنكر هذا المعتزلة لأنها تشترط في خَلْق الإدراك بنيةً مخصوصةً.

٣٥٤٧- عَنْ عَبْدِالله بن مَسعُودٍ قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآياتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَها تَخْوِيفاً، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ المَاءُ فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ» فَجَاؤُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلى الطَّهُورِ المُبَارَكِ والبَرَكَةِ مِنَ اللهِ» فَلَقَدْ رَأيتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيْحَ الطَّعَامِ، وَهُوَ يُؤْكَلُ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

٣٥٤٨- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ، وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ. قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثَ مِئَةٍ أَوْ زُهَاءَ ثَلَاثِ مِئَةٍ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (٢٢٧٩).

وهذه آيةٌ ومعجزة، وقيل: هذا أبْلغُ من تفجير الماء من الحَجر لموسى عليه السلام، لأن في طبع الحجارة أن يخرجَ منها الماء، وليس في طباع أعضاء بني آدم ذلك.

٣٥٤٩- عنْ جَابِرٍ قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ رَسُولُ

اللهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ؟»قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ مِنْهُ، وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ العُيُونِ قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأنَا فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِئَةَ أَلْف لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم(١٨٥٦).

الركْوةُ: إناءٌ صغير من جلد يُشْرَب فيه. وهذه الأحاديث من أَدلِّ شيءٍ عَلى صدق النبوة، فإن هذه المعجزات قد حدثت في المواطنِ الحَفِلةِ والجموع الكثيرة ولا تتطرق التهمة إلى المحدِّث بها، لأنهم كانوا أسرع شيءٍ إلى تكذيبه لما جُبِلت عليه النفوس من ذلك، ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل، فهؤلاء قد رَوَوْا هذا وأشاعوه. ونسبوا حضورَ الجمَّاءِ الغفير له، ولم ينكر أحدٌ من الناس عليهم ما حدَّثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه، فصار كتصديق جميعهم له. أفاده القاضي عياض في «الشفا» ١/ ٢٥٤.

٣٥٥٠- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي جَيْشٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، تَخَلَّفَ لِبَعضِ حَاجَتِهِ، وَتَخَلَّفْتُ مَعَهُ بِمِيضَأَةٍ، وَهِيَ الإداوَةُ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ جَاءَنِي فَسَكَبْتُ عَلَيْهِ مِنَ المِيضَأَةِ، فَتَوَضَّأَ، وَقَالَ لِي: «احْفَظْهَا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ لِبَقِيَّتِهَا شَأنٌ» قَالَ: وَسَارَ الجَيْشُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْفُقُوا بِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ يَعْصُوهُمَا، يَشُقُّوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» قَالَ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَشَارَا عَلَيْهِمْ أَلَّا يَنْزِلُوا حَتَّى يَبلُغُوا المَاءَ، وَقَالَ بَقِيَّةُ النَّاسِ: بَلْ نَنْزِلُ حَتَّى يأْتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قال: فَنَزَلُوا، قَالَ: فَجِئْنَاهُمْ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، وَقَدْ هَلَكُوا مِنَ العَطَشِ فَدَعَا النَّبِيُّ

ﷺ بِالمِيْضَأةِ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَاسْتَأبَطَهَا، ثُمَّ جَعَلَ يَصُبُّ لهُمْ، فَشَرِبُوا حَتَّى رَوُوا وَتَوَضَّؤُوا، وَمَلَؤُوا كُلَّ إنَاءٍ كَانَ مَعَهُمْ حَتَّى جَعَلَ يَقُولُ: «هَلْ مِنْ مَالٍ؟» قَالَ: فَخُيِّلَ إلَيَّ أَنَّهَا كَما أَخَذَهَا، وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ اثْنَين وَسَبْعِينَ رَجُلاً.

إسناده صحيح، أخرجه أحمد (٢٢٥٧٥) بنحوه وبأطول منه، وأخرجه مسلم (٦٨١).

قوله: «هل من مالٍ» أي: هل من مالىء حذف الهمزة تخفيفاً.

٣٥٥١- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: سَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: فَأَصَابَهُمْ عَطَشٌ شَدِيدٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ: أَحْسِبُهُ عَلِيّاً وَالزُّبَيْرَ أَوْ غَيْرَهُمَا، فَقَالَ: إنَّكُمَا سَتَجِدَانِ امْرَأَةً بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ، فَأْتِيَانِي بِهَا، قَالَ: فَأَتَيَا المَرْأَةَ، فَوَجَدَاهَا قَدْ رَكِبَتْ بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ عَلى البَعِيرِ فَقَالاَ لَهَا: أجِيبِي رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَتْ: وَمَنْ رَسُولُ اللهِ؟ هٰذَا الصَّابِىءُ! قَالاَ: هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ، وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَقّاً فَجَاءَا بِهَا، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجُعِلَ فِي إنَاءٍ مِنْ مَزَادَتَيْهَا، ثُمَّ قَالَ فِيهِ مَا شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ أَعَادَ المَاءَ فِي المَزَادَتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَ بِعَزْلاَء المَزَادَتَيْنِ، فَفُتِحَتْ، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ، فَمَلَؤُوا آنِيَتَهُمْ وَأَسْقِيَتَهُمْ، فَلَمْ يَدَعُوا يَوْمَئِذٍ إنَاءً وَلاَ سِقَاءً إلَّا مَلَؤُوهُ. قَالَ عِمْرَانُ: حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إلَيَّ أَنَّهَا لَمْ تَزْدَدْ إلَّا امْتِلاَءً، قَالَ: فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِثَوْبِهَا فَبُسِطَ، ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ، فَجَاؤُوا مِنْ زَادِهِمْ حَتَّى مَلأَ لَهَا ثَوْبَهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: «اذْهَبِي فَإنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكِ شَيْئاً، وَلٰكِنَّ اللهَ سَقَانَا» فَجَاءَتْ أَهْلَهَا، فَأَخْبَرَتْهُمْ،

فَقَالَتْ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَسْحَرِ النَّاسِ، أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَقّاً، فَجَاءَ أَهْلُ ذٰلِكَ الحِوَاءِ حَتَّى أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢).

والمزادة: التي يسميها الناس الرَّاوية، والرَّاوية: البعير الذي يسقى عليه، وهذه هي المزادة، والسطيحة نحو المزادة غير أنها أصغر من المزادة، فهي من جَلْدَيْنِ، والمزادة أكبر. والصابىء عند العرب: الذي خرج من دينٍ إلى دينٍ، وكان المشركون يقولون لمن أسلم: قد صَبأ فلانٌ. والعزلاءُ: هي فم المزادة الأسفل، يخرج الماءُ منه خروجاً واسعاً. والحِواءُ: بيوتٌ مجتمعة على ماءٍ، وجمعها أحويةٌ.

وفي الحديث دليلٌ على أنَّ أوانيَ المشركين على الطهارة ما لم يُعلم نجاستها، وفيه أنَّ أخْذ ماءِ الغير يجوز عند ضرورة العطش بالعوض، وقد أعطاها النبيُّ ﷺ من الزاد ما كان عوضاً عن مائِها.

٣٥٥٢- عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ الثَّقَفِيِّ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ رَأَيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَهُ إِذْ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَى عَلَيْهِ، قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ البَعِيرُ، جَرْجَرَ فَوَضَعَ جِرَانَهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «أَيْنَ صَاحِبُ هٰذَا البَعِيرِ؟» فَجَاءَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِعْنِيهِ» قَالَ: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ «بَلْ بِعْنِيهِ» قَالَ: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ فَإِنَّهُ لِأَهْلِ بَيْتٍ مَالَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ، قَالَ: «أَمَّا إِذَا ذَكَرْتَ هٰذَا مِنْ أَمْرِهِ، فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ العَمَلِ، وَقِلَّةَ العَلَفِ، فَأَحْسِنوا إِلَيْهِ».

قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشُقُّ الأَرْضَ حَتَّى غَشِيَتْهُ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ

رَسُولُ الله ﷺ، ذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا فِي أنْ تُسَلِّمَ عَلى رَسُولِ اللهِ ، فَأذِنَ لَهَا».

قالَ: ثُمَّ سِرْنَا فَمَرَرْنَا بِمَاءٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا بِهِ جِنَّةٌ، فَأخَذَ النَّبيُّ ﷺ بِمَنْخِرِهِ، ثُمَّ قَالَ «اخْرُجْ إنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا، فلمَّا رَجَعْنَا مِنْ سَيْرِنَا، مَرَرْنَا بِذٰلِكَ المَاء، فأتَتْهُ المَرْأةُ بِجُزُرٍ وَلَبَنٍ، فَأمَرَها أنْ تَرُدَّ الجُزُرَ، وَأمَرَ أصْحَابَهُ، فَشَرِبُوا اللَّبَنَ، فَسَألَهَا عَنِ الصَّبِيِّ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا رَأيْنَا مِنْهُ رَيْباً بَعْدَكَ.

حديث حسن بطرقه وشواهده، أخرجه أحمد (١٧٥٤٨) و(١٧٥٤٩) و(١٧٥٥٩) و(١٧٥٦٣-١٧٥٦٥)، وابن أبي شيبة ١١/٤٨٨-٤٩٠، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/٢٠-٢٤ والحاكم ٢/٦١٧-٦١٨، وبعضهم يزيد فيه على بعض، ولبعض الحديث شواهد يصح بها، انظر «المسند».

قوله: جَرجَر، أي: صوَّتَ، والجِران: باطن عنق البعير.

٣٥٥٣- عن يزيد بن أبي عُبيدٍ عَنْ سَلَمَةَ قَالَ: خَفَّتْ أزْوَادُ القَوْمِ، وَأمْلَقُوا، فَأتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فِي نَحْرِ إبِلِهِمْ، فَأذِنَ لَهُمْ، فَلَقِيَهُمْ عُمَرُ، فَأخْبَرُوهُ، فَقَالَ: مَا بَقَاؤُكُمْ بَعْدَ إبِلِكُمْ؟ فَدَخَلَ عَلى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا بَقَاؤُهُمْ بَعْدَ إبِلِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَادِ فِي النَّاسِ يَأتُونَ بِفَضْلِ أزْوَادِهِمْ» فَبُسِطَ لِذٰلِكَ نِطْعٌ، وَجَعَلُوهُ عَلى النِّطْعِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَعَا وَبَرَّكَ عَلَيْهِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ بِأوْعِيَتِهِمْ، فَاحْتَثَى النَّاسُ حَتَّى فَرَغُوا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أشْهَدُ أنْ لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ، وَأنِّي رَسُولُ اللهِ».

هذا حديث صحيح أخرج مسلم (٢٧) من رواية الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أوعن أبي سعيد، شكَّ الأعمش معناه، وقال: في غزوة تبوك، وقال:

اجتمع على النِّطع شيءٌ يسيرٌ، فدعا النبي ﷺ بالبركة، ثم قال: خُذوا في أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفَضلتْ فَضلةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيحجب عن الجنة».

واحتجَّ به البخاري (٢٤٨٤) في النَّهدِ في الطعام، في جواز قِسمة ما يُكال ويوزن مجازفةً، وقبضةً قبضةً.

٣٥٥٤- عن الزهري قال: أَخْبَرَني أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَامَ عَلى المِنْبَرِ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُوراً عِظَاماً، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ، فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ، فَوَاللهِ لَا تَسْأَلُوني عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِه مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هٰذَا» قَالَ أَنَسٌ: فَأَكْثَرَ النَّاسُ البُكَاءَ حِينَ سَمِعُوا ذٰلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي سَلُونِي» قَالَ أَنَسٌ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيْنَ مَدْخَلِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «النَّارُ» وقَالَ: فَقَامَ عَبْدُاللهِ بْنُ حُذَافَةَ، فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ أبوكَ حُذَافَة، ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي» قَالَ: فَبَرَكَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبّاً وبالإِسلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، قَالَ: فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَالَ عُمَرُ ذٰلِكَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفاً فِي عُرْضِ هٰذا الحَائِطِ، وَأَنَا أُصَلِّي، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ».

قَالَ الزُّهْرِي: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُاللهِ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ عَبْدِاللهِ بْنِ حُذَافَةَ: مَا رَأَيْتُ ابْناً أَعَقَّ مِنْكَ، أَكُنْتَ تَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ أُمُّكَ قَدْ قَارَفَتْ بَعْضَ

مَا قَارَفَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ فَتَفْضَحَهَا عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ. فَقَالَ عَبْدُاللهِ: لَوْ أَلْحَقَنِي بِعَبْدٍ أَسْوَدَ لَلَحِقْتُهُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٥٤٠)، ومسلم (٢٣٥٩).

وفي الحديث من الآداب: مراقبةُ الصحابة أحوالَ النبي ﷺ وشدَّة إشفاقهم إذا غضب. والنهي عن كثرةِ السؤال، وعن سؤال ما لا عمل تحته. وفيه جوازُ الغضب في الموعظة.

٣٥٥٥- عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة أنه سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفاً أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصاً مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَاراً لَهَا، فَلَفَّتْ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي، وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَالِساً فِي المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟»قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «لِطَعَامٍ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا». قَالَ: فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ. فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسولَ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخَلاَ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» فَأَتَتْ بِذٰلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسولُ اللهِ ﷺ، فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً لَهَا فَأَدَمَتْهُ،

ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» حَتَّى أَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلاً أَوْ ثَمَانُونَ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٢٢)، ومسلم(٢٠٤٠).

العُكَّةُ: وعاءُ السمن. قوله: فأدَمَتهُ، أي: أصْلحته بالإدام، أدَمْتُ الخبز آدُمُهُ وآدِمُهُ، وخبزٌ مَأدومٌ.

٣٥٥٦- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِالله: أَنَّ أَبَاهُ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْناً، وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ، فَلَمَّا حَضَرَ جِزَازُ النَّخْلِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ دَيْناً كَثِيراً، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الغُرَمَاءُ فَقَالَ: «اذْهَبْ، فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَتِهِ» فَفَعَلْتُهُ، ثُمَّ دَعَوْتُهُ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيهِ كَأَنَّمَا أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ، أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَراً ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيهِ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ لِي أَصْحَابَكَ» فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللهُ عَنْ وَالِدِي أَمَانَتَهُ، وَأَنَا أَرْضَى أَنْ يُؤَدِّيَ اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي، وَلَا أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ، فَسَلَّمَ اللهُ البَيَادِرَ كُلَّهَا، وَحَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى البَيْدَرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّهَا لَمْ تَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٢١٢٧).

قوله: «جِزاز» هو بالزاي في الموضعين، أي: قَطْعُ النخل.

٣٥٥٧- عَنْ الأعْرَجِ فِي قَولِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ﴾. قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَاللهُ المَوْعِدُ، وَإِنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا بَالُ المُهَاجِرِينَ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِهٰذِهِ الأَحَادِيثِ، وَمَا بَالُ الأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ بِهٰذِهِ الأَحَادِيثِ؟ وَإِنَّ أَصْحَابِي مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَتْ تَشْغَلُهُمْ صَفَقَاتُهُمْ فِي الأَسْوَاقِ، وإِنَّ أَصْحَابِي مِنَ الأَنْصَارِ كَانَتْ تَشْغَلُهُمْ أَرَضُوهُمْ، وَالقِيَامُ عَلَيْهَا، وَإِنِّي كُنْتُ امْرأً مِسْكِيناً، وَكُنْتُ أُكْثِرُ مُجَالَسَةَ رَسولِ اللهِ ﷺ أَحْضُرُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّثَنَا يَوْماً، فَقَالَ: «مَنْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ حَتَّى أَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِي ثُمَّ يَقْبِضُهُ إِلَيهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَنْسَى شَيئاً سَمِعَهُ مِنِّي أَبَداً» قَالَ: فَبَسَطْتُ ثَوْبِي، أَوْ قَالَ نَمِرَتِي، ثُمَّ حَدَّثَنَا، فَقَبَضْتُهُ إِلَيَّ، فَوَاللهِ مَا نَسِيتُ شَيئاً سَمِعْتُهُ مِنْهُ، وَايْمُ اللهِ لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ أَبَداً ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الآيَةَ كُلَّهَا [البقرة: ١٥٩].

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٢٠٤٧)، ومسلم (٢٤٩٢).

قوله: صَفقاتُهم في الأسواق: أراد: صفْقَ الأكفِّ عند البيع كانوا إذا تصافقوا بالأكفِّ كان ذلك إمارةَ المِلْكِ، وانبرامِ البيع، ولذلك يُضاف الأملاك إلى الأيدي، والقبوضُ تقع بها.

٣٥٥٨- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا خَطَبَ، اسْتَنَدَ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ، فَاسْتَوَى عَلَيْهِ، اضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَةُ كَحَنِينِ النَّاقَةِ حَتَّى سَمِعَهَا أَهْلُ المَسْجِدِ حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاعْتَنَقَهَا، فَسَكَنَتْ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٨٥).

وحنين الناقة: ترجيعها صوتها إثرَ ولدها، يقال: حنَّت، أي: اشتاقت.

وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان، وفيه تأييد لقول من يحمل قوله تعالى: ﴿وإن من شيءٍ إلَّا يُسبِّحُ بحمده﴾ [الإسراء:٤٤] على ظاهره. وكان الحسن البصري إذا حدَّث بهذا الحديث قال: يا معشر المسلمين، إنَّ الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه، فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إليه. أفاده الحافظ في «الفتح» ٦/٦٩٧.

٣٥٥٩- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ كَانَ قَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، جَدَّ فِينَا، فارْتَدَّ عَنِ الإِسْلاَمِ، وَلَحِقَ بِالمُشْرِكِينَ، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الأَرْضَ لاَ تَقْبَلُهُ» قَالَ أَنَسٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهُ أَتَى الأَرْضَ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَوَجَدَهُ مَنْبُوذاً. قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: مَا شَأْنُ هٰذَا؟ فَقَالُوا: قَدْ دَفَنَّاهُ مِرَاراً، فَلَمْ تَقْبَلْهُ الأَرْضُ.

هذا حديثٌ متَّفَقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١).

٣٥٦٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا خَلَقَ اللهُ مُؤْمِناً سَمِعَ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي قُلْتُ: وَمَا عِلْمُكَ بِذٰلِكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: إِنَّ أُمِّي كَانَتْ مُشْرِكَةً، وَإِنِّي كُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الإِسْلاَمِ، فَتَأْبَى عَلَيَّ، وَإِنِّي دَعَوْتُهَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي امْرَأَةٌ مُشْرِكَةٌ وَإِنِّي كُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الإِسْلاَمِ، فَتَأْبَى عَلَيَّ، وَإِنِّي دَعَوْتُهَا، فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ،

فَادْعُ اللهَ أنْ يَهْدِي أُمِّي فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجَتُ أعْدُو أُبَشِّرُهَا بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أتَيْتُ البَابَ إذَا هُوَ مُجَافٌ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ المَاءِ، وَسَمِعَتْ خَشْفَ رِجْلِي، فَقَالَتْ: يَا أبَا هُرَيْرَةَ كَمَا أنْتَ، وَفَتَحَتْ البَابَ، وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَقَالَتْ: إنِّي أشْهَدُ أنْ لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَرَجَعْتُ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أبْكِي مِنَ الفَرَحِ كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الحُزْنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ، فَهَدَى أُمَّ أبي هُرَيْرَةَ، ادْعُ اللهَ أنْ يُحَبِّبَنِي وَأُمِّي إلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إلَيَّ، وَإلَيْهَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ وَأُمَّهُ إلَى عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْهُمْ إلَيْهِ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٤٩١).

٣٥٦١- عن ابن عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّاباً وَمُبِيراً».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٥٤٥).

قيل: الكَذَّاب هوالمختار بن أبي عُبيد، والمبيرُ: الحجاج بن يوسف، والمبيرُ: الذي يُهلِك الناس.

٣٥٦٢- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعدَهُ، وَإذَا هَلَكَ قَيْصَرُ، فَلَا قَيْصَرَ بَعدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٠٢٧)، ومسلم (٢٩١٨).

٣٥٦٣- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَهْلِكُ كِسْرَى، ثُمَّ لَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرُ لَيَهْلِكُنَّ، ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ» وسَمَّى الحَرْبَ خُدْعَةً.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٠٢٨).

وقد روي أنَّ النبي ﷺ كتب إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام، فمزَّق كتابه، فقال النبيُّ ﷺ: «تَمَزَّقَ مُلْكُهُ» وكتب إلى قيصر، فأكْرَمَ كتابه، ووضعه في مِسْكٍ، فقال النبي ﷺ: «ثَبَتَ مُلْكُهُ». أخرجه البخاري (٤٤٢٤).

ووجه الجمع بين الحديثين أنَّ كسرى تمزَّق مُلكه، فلم يبق لهم مُلكٌ، وأنفِقَتْ كنوزه في سبيل الله، وأورث اللهُ المسلمين أرضَه، وقيصر ثبت مُلكه بالرُّوم، وانقطع عن الشام، واستبيحت خزائنه التي كانت بهما، وأنفقت في سبيل الله. فمعنى قوله: لا قيصر بعده، يعني بالشام.

٣٥٦٤- عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ، فَتُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً، فَأَطْعَمَتْهُ، ثُمَّ جَلَسَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ البَحْرِ مُلُوكاً عَلى الأَسِرَّةِ، أَوْ مِثْلَ مُلُوكٍ عَلَى الأَسِرَةِ (يَشُكُّ أَيُّهُمَا) قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ

كَمَا قَالَ فِي الأُولَى. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ» فَرَكِبَتْ أُمُّ حَرَامٍ البَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ فَهَلَكَتْ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٢٧٨٨)، ومسلم (١٩١٢).

الثَّبَجُ: الوَسطُ. وفي الحديث: «أنطو الثَّبَجة» أي: أعطو الوَسط في الصدقة، يقال: ضربَ بالسيف ثَبَجَ الرَّجل، أي: وَسَطهُ، والثَّبَجُ: ما بين الكتِفين.

٣٥٦٥-عن خالد بن معدان: أنَّ عُمير بن الأسود العبسيَّ حدَّثه: أَنَّهُ أَتى عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَهُوَ نَازِلٌ فِي سَاحِلِ حِمْصَ وَهُوَ فِي بِنَاءٍ لَهُ وَمَعَهُ أُمُّ حَرَامٍ قَالَ عُمَيْرٌ: حَدَّثَتْنَا أُمُّ حرامٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النبي ﷺ يَقُولُ: «أَوَّلُ جَيْشٍ منْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا» قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: أَنْتِ فِيهِمْ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ» فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لَا».

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٢٩٢٤).

٣٥٦٦-عن ابن المنكدر أَنَّ سَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخْطَأَ الجَيْشَ بِأَرْضِ الرُّومِ، أَوْ أُسِرَ فِي أَرْضِ الرُّومِ، فَانْطَلَقَ هَارِباً يَلْتَمِسُ الجَيْشَ، فَإِذَا هُوَ بِالأَسَدِ، فَقَالَ لَهُ: أَبَا الحَارِثِ إِنِّي مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ مِنْ أَمْرِي كَيْتَ وَكَيْتَ، فَأَقْبَلَ الأَسَدُ لَهُ بَصْبَصَةٌ حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِهِ كُلَّمَا سَمِعَ صَوْتاً، أَهْوَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ حَتَّى بَلَغَ الجَيْشَ، ثُمَّ رَجَعَ الأَسَدُ.

رجاله ثقات إلا أن ابن المنكدر لم يثبت سماعه من سفينة، وهو في «المصنف» (٢٠٥٤٤)، وأخرجه بنحوه الحاكم ٣/٦٠٦، وصححه ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الخصائص» وزاد نسبته إلى ابن سعد وأبي يعلى والبزار وابن مندة، والبيهقي وأبي نعيم.

بابُ

المبعث وبدء الوحي

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر:٩٤]، أَيْ: شُقَّ جَمَاعَاتِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَقِيلَ: اجْهَرْ بِالقُرْآنِ، وَقِيلَ: أَظْهِرْ، وَقِيلَ: احْكُمْ، وقِيلَ: افْصِلْ بالأَمرِ، والصَّدِيعُ: الصُّبْحُ، وقِيلَ: افْرُقْ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، يُقَالُ: تَصَدَّعَ القَوْمُ، أَيْ: تَفَرَّقُوا، وَمِنْهُ قَولُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم:٤٣]، أَيْ: يَتَفَرَّقُونَ ﴿فَرِيقٌ في الجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧]. قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨]، أَيْ: جَامِعاً لَهُمْ بِالإِنْذَارِ، وَمَعْنَى «كَافَّةً» فِي اللُّغَةِ: الإِحَاطَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ كُفَّةِ الشَّيءِ، وَهِيَ حَرْفُهُ إِذَا انْتَهَى الشَّيءُ إِلَيْهِ كَفَّ عَنِ الزِّيَادَةِ، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة:٢٠٧]، أَيْ: أَبْلِغُوا فِي الإِسْلَامِ إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي شَرَائِعُهُ، فَتَكُفُّوا مِنْ أَنْ تَعْدُوا وَتُجَاوِزُوا، وَأَرَادَ بِالكَافَّةِ: الإِحَاطَةَ بِجَمِيعِ حُدُودِ الإِسْلَامِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ادْخُلُوا كُلُّكُمْ فِيهِ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزَّمِّل:٥]، أَيْ: لهُ وَزْنٌ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابن عَبَّاس فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة:١٦]، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ، يَخْشَى أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ [القيامة:١٧]، أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أَنْ تَقْرَأَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يَقُولُ: أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ اسْمَعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة:١٩]، أَنْ نُبَيِّنَهُ عَلَى لِسَانِكَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ، قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٥٦٧-عَنِ ابْنِ عَبَّاس قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّين سَنَةً.

هٰذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٩٠٢)، ومسلم (٢٣٥١).

٣٥٦٨-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَيَرَى الضَّوْءَ سَبْعَ سِنِينَ، وَلَا يَرَى شَيْئاً وَثَمانِي سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَقَامَ بِالمَدِينَةِ عَشْراً.

أخرجه مسلم (٢٣٥٣).

وقوله: «يسمع الصوت» أي: صوت الهاتفِ به من الملائكة، و«يرى الضوء» أي: نور الملائكة، ونور آيات الله تعالى.

٣٥٦٩-عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِىءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ

حِرَاءَ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ تَعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ عَدَدٍ- قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذٰلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الحقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَهُ المَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِىءٍ قَال: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِىءٍ فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِىءٍ، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلَ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنِ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنجِيلِ بِالعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هٰذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّاً إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

وفلقُ الصبح وفَرقُ الصبح: ضوؤه إذا انفلق، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أعوذُ بربِّ الفَلَقِ﴾ وحِراءُ: جبلٌ بمكة، وهي مكسورة الحاء مفتوحة الراء ممدودة.

وقولها: يتحنَّث فيه، أي: يتعبد، والتحنُّث: التعبُّد سمِّي به، لأنه يُلقي به الحِنْثَ والذنْبَ عن نفسه، ومثله التحوُّب والتحرُّج والتأثُّم لإلقاء الحَوْبِ والحَرَج والإثم عن نفسه.

والغطُّ: الضغط الشديد، ومنه الغطُّ في الماء، ويُروى: فغتَّني، ومعناه: الغطُّ أيضاً. يرجُف فؤاده: أي: يخفِق، والرَّجفة: شدَّة الحركة.

وقوله: زمِّلوني: أي: دَثِّروني وتزمَّل الرجُل بالثوب: اشتمل به، وقولها: وتحمِل الكَلَّ، أي: المنقطِع، تريد: أنك تُعين الضيف، والكَلُّ: الذي لا يغني نفسه، ومنه قيل للعيال: كَلٌّ، قال الله تعالى: ﴿وهو كَلٌّ على مولاه﴾ [النحل: ٧٦] أيَ: ثقلٌ على وليِّه، وتُكسِبُ المعدوم، وفي بعض الروايات «وتُكسِب المعدمَ» وهو الأصْوبَ، لأن المعدوم لا يدخل تحت الأفعال، أي: تُعطي العائل، يقال: كسَبْتُ الرجُل مالاً وأكسبتُهُ، أي: أعطيتُهُ، وبحذف الألف أفصحُ.

والناموس: صاحبُ سرِّ الرجُل الذي يُطلعه على باطن أمره، ويخصُّهُ بِما يَسترهُ عن غيره، يقال: نمسَ الرجُل ينمِسُ نمساً، وقد نامَسْتُهُ مُنامسةً: إذا سارَرتهُ، فالناموس: صاحب سرِّ الخير، والجاسوس: صاحب سرِّ الشرِّ.

وقوله: يا ليتني فيها جَذَعاً، أي: شابّاً، والأصل في الجَذَع سِنُّ الدوابِّ، وفي حديث عليٍّ أسلمْتُ، وأنا جَذعَمَةٌ، أراد: وأنا جَذَعٌ: أي: حَدَثٌ في السنِّ، فزاد في آخرها ميماً توكيداً. ونصبَ «جَذَعاً» لأن معناه ليتني كنتُ جَذَعاً. والثابت في قوله: «فيها» لإضمار النبوَّة أو الدعوة أو الدولة يقول: يا ليتني كنت شابّاً وقت

دعوتِك ونبوَّتِك أنصركَ نصراً مُؤزراً، أي: بالغاً. وآزر فلانٌ فلاناً، أي: عاونه على أمره، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَآزَرَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: قوَّاه، والأزْرُ: القوَّة، وقوله: ﴿اشْدُدْ بِهِ أزري﴾ [طه: ٣١] أي: قوِّ به ظهري.

وفي الحديث من الفقه: أنَّ مكارم الأَخلاق سببٌ للوقاية من مصارع السوءِ كما استنبطته أُمُّ المؤمنين خديجة رضوان الله عليها.

وفيه: مَدْحُ الإنسان في وَجْهِهِ في بعضِ الأَحوال لمصلحةٍ تطرأُ.

وفيه: تأنيسُ مَنْ حصلَتْ له مخافةٌ من أَمْرٍ وتَبشيرُهُ وذكْرُ أَسباب السلامة له.

وفيه أعظمُ دليلٍ وأَبلغُ حجَّةٍ على كمال خديجة رضي الله عنها، وجزالة رأيها، وقوَّةِ نَفْسِها، وثبات قلبها وعِظمِ فِقْهها. أَفاده النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ١/ ٤٨٢.

٣٥٧٠- عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ: «بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقاً، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، دَثِّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥] ثُمَّ تَتَابَعَ الوَحْيُ».

هٰذا حديث متفق على صحته أَخرجه البخاري (٤)، ومسلم (٢٣٣٣).

قوله: «جُئِثْتُ» أي: ذُعِرْتُ، ويروى: «جُثِثْتُ» يُقال: جُئِث الرجُل، وجُثَّ، وجُؤِفَ، أي: فزِعَ.

٣٥٧١-عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَال: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أحياناً يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَنْفَصِمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَاناً يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلاً، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ». قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِي اليَوْمِ الشَّاتِي الشَّدِيدِ البَرْدِ فَيَنْفَصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً.

هٰذاحديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٢) عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، وقال: فيَفْصِمُ عني، وفي آخره فيفصِمُ عنه، وأخرجه مسلم (٢٣٣٣) عن أبي بكر بن أبي شَيبةَ، عن سفيان بن عُيينةَ، عن هشام، وقال: ثم يَفْصِمُ عنِّي.

قوله: «يأتيني في مثل صَلْصَلةِ الجَرَسِ» فالصَّلصلةُ: صوت الحديد إذا حُرِّك، قال أبو سليمان الخطابي: يريد -والله أعلم- أنه صوتٌ مُتدارِكٌ يسمعه ولا يُثْبِتُه عند أوَّل ما يَقرع سمعه حتى يتفهَّم، ويَستثبِتَ، فيتلقفُه حينئذٍ ويعيه، ولذٰلك قال: وهو أشدُّه عليَّ. قوله: «فينفصِم عنِّي» أي: ينقطع، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿لا انفصامَ لها﴾ [البقرة:٢٥٦] ومَنْ روى: فيفصِمُ عنِّي -وهو الأصوب- معناه: يُقلِع عنِّي. وقولها: يَتفصَّدُ عَرَقاً، أي: يَسيلُ كما يُفصدُ العِرقُ.

٣٥٧٢-عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، نَكَسَ رَأْسَهُ، وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُؤُوسَهُمْ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ، رَفَعَ رَأْسَهُ».

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣٥) وفي رواية: كان إذا أنزِلَ عليه، كُرِبَ لذٰلك، وتَربَّدَ وَجْهه.

قوله: تربد وجهه وأربد، أي: تلونَ فصار، كلون الرماد.

٣٥٧٣-عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ جَالِساً فِي المَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ ابْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمْلَىٰ عَلَيْهِ ﴿لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [النساء:٩٥]، قَالَ فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمْلِيهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ رَجُلاً أَعْمَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تُرَضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾.

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٢٨٣٢).

الوحيُ من الله عزَّ وجلَّ على أنبيائه عليهم السلام على أنواعٍ كما قال الله تعالى: ﴿وما كان لبَشرٍ أنْ يُكلِّمهُ اللهُ إلا وحياً أو منْ وراءِ حجابٍ أو يُرْسِلَ رسولاً فيوحيَ بإذنه ما يشاء﴾ [الشورى:٥١] قال بعض أهل التفسير: الوحيُ الأَولُ ما أراهم في المنام. قال عُبيد بن عمير: رُؤيا الأنبياء وحيٌ، وقرأ: ﴿إني أرى في المنام أني أذبحُك﴾ [الصافات:١٠٢] وقاله غيرُ واحدٍ من أهل التفسير. وقوله: ﴿أوْ مِنْ وراء حجابٍ﴾ فكما كلَّمَ موسى عليه السلام مِنْ وراء حجاب حتى قال: ﴿أَرِني أنظُرْ إليكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] وقوله: ﴿أو يُرسِلَ رَسولاً﴾ فهو إرسالُه الروحَ الأمين، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿نَزلَ به الرُّوحُ الأمينُ على قلبك﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

وقد كان لنبيِّنا ﷺ جميع هٰذه الأنواع، فقال الله عزَّ وجلَّ في رؤياه: ﴿لقدْ صَدَقَ اللهُ رَسولَهُ الرُّؤْيا بالحقِّ﴾ [الفتح:٢٨].

وقالت عائشة رضي الله عنها: أوَّلُ ما بُدِيءَ بهِ رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النَّوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت به مِثل فلقِ الصبح. وقال في

الكلام: ﴿فأوحى إلى عبدِهِ ما أوحى﴾ [النجم: ١٠] وفَرض عليه ليلة المعراج خمسين صلاةً، وقال في إرسال جبريل عليه السلام: ﴿نزلَ به الرُّوح الأمين على قلبك﴾ وقال: ﴿مَنْ كان عدُوّاً لجبريل فإنه نزَّلهُ على قلبك بإذن الله﴾ [البقرة: ٩٧]

وفي الحديث «إنَّ الرُّوح الأمين نفث في رُوعي أنه لن تموت نفسٌ حتى تستوفيَ رزقها فأجمِلوا في الطلبِ» أخرجه الحاكم ٢/ ٤ من حديث ابن مسعود وله شاهد مرسل حسن عند الشافعي ١/ ١٤ من حديث المطلب بن حنطب، وآخر عن جابر بنحوه عند الحاكم ٢/ ٤، وسنده قوي في الشواهد، وثالث عن أبي أمامة عند أبي نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٧ وفي سنده ضعف.

ومن الوحي ما يأتي به جبريل، ومنه ما يأتي به غيرهُ من الملائكة، ومنه ما يكلِّمه الملك بأمر الله تكليماً، ومنه ما يأتيه فيُلقي في روعِهِ، ومن الوحي ما كان سرّاً بين الله ورسوله، فلم يحدِّث به أحداً، ومنه ما حدَّث به الناس، وذٰلك على نوعين، فمنه ما كان مأموراً بكِتبتهِ قرآناً، ومنه مالم يكن مأموراً بكِتبتهِ قرآناً، فلم يكن من القرآن، ويُحكى عن الزهريِّ معنى هٰذا.

٣٥٧٤-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟» فَنَزَلَتْ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤]، إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

هٰذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٢١٨).

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وما كان ربُّك نَسِيّاً﴾ [مريم: ٦٤] أي: ما نسيك ربُّك أن أخَّر الوحيَ.

بابُ

دعائِه صلَّى الله عليه وسلَّم المشركين وصبره على أذاهم

٣٥٧٥-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ» قَالَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبّاً لَكَ لِهٰذَا دَعَوْتَنَا جَمِيعاً، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إِلَى آخِرِهَا.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨).

٣٥٧٦-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النبي ﷺ على الصَّفَا فجعل ينادي: «يا بني فِهْرٍ، يا بني عَدِيٍّ» لبطون قريش حتى اجتمعوا فَجَعَلَ الرجُلُ إذا لم يَسْتَطِعْ أن يَخْرُجَ أرسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ ما هو فجاءَ أبو لَهَبٍ وقُرَيْشٌ، فقالَ: «أَرأَيْتُكُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بالوادي تُريد أن تُغِيْرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نعم مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلّا صِدْقاً قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبّاً لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهٰذا جمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وتبَّ ما أغنى عنه مالُهُ وما كَسَبَ﴾.

أخرجه البخاري (٤٧٧٠).

٣٥٧٧-عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ».

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٠٥).

٣٥٧٨-عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَها اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً».

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

٣٥٧٩-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ، وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هٰذا المُرَائِي أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ، فَيَعْمَدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلَاهَا، فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يُمْهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِداً، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِداً حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ،

فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلاَةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، ثُمَّ سَمَّى: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، والوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ بْنِ الوَلِيدِ» قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ القَلِيبِ لَعْنَةً».

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٢٤٠)، وأخرجه مسلم (١٧٩٤) وقال: ودعا عليهم ثلاثاً، وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل، سأل ثلاثاً.

وقال شعبة عن أبي إسحاق: إذ جاء عقبة بن أبي مُعيطٍ بسلى جزورٍ، فقذفه على ظهر النبي ﷺ.

قيل: كان هٰذا الصنيع منهم قبل تحريم هٰذه الأشياء من الفرْثِ والدَّم وذبيحة أهل الشرك، فلم تكُن تبطُل الصلاةُ بها، كالخمر كانت تُصيب ثيابهم قبل تحريمها.

٣٥٨٠-عن عروة بن الزُّبير قال: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَهُ المُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقاً شَدِيداً، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ.

هٰذا حديث صحيح أَخرجه البخاري (٤٨١٥).

٣٥٨١-عن عروة بن الزبير: أَنَّ عَائِشَةَ زَوجَ النَّبيِّ ﷺ حَدَّثْتهُ أَنها قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهمُومٌ عَلى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟» قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً».

هٰذا حديث متفق على صحته أَخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم(١٧٩٥).

والأخشبُ من الجبال: الخشن الغليظ، وأخشبا مكة: جبلاها، وفي بعض الحديث «لا تزول مكة حتى يزولَ أخشابها» سُمِّيا أخشبين لصلابتهما وغِلظِ حجارتهما.

٣٥٨٢-عَنْ أَنَسٍ قَالَ: رُمِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَأُدْمِيَ وَجْهُهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلى وَجْهِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ» فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (١٧٩١).

٣٥٨٣-عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيّاً ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ، وَيَقُولُ: «يَا رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

هٰذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته أَخرجه البخاري (٦٩٢٩)، ومسلم (١٧٩٢).

وفي الحديث: ما كان عليه الأنبياء صلوات الله عليهم من الحلم والتصبُّرِ. والعفوِ والشفقة على أَقوامهم، ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنايتهم على أَنفسهم بأَنهم لا يعلمون.

٣٥٨٤-عن هَمَّامِ بن منبِّهٍ قَالَ: حدثنا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلى قَوْمٍ فَعَلُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ حِينَئِذٍ يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَبِيلِ اللهِ».

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٠٧٣)، ومسلم (١٧٩٣).

٣٥٨٥-عَنْ خَبَّابٍ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَدْعُوا اللهَ لَنَا؟ أَلَا تَسْتَنْصِرُ اللهَ لَنَا؟ فَجَلَسَ مُحْمَارّاً لَوْنُهُ أَوْ وَجْهُهُ، فَقَالَ لَنَا: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، ثُمَّ يُجَاءُ بِالمِنْشَارِ، فَيُجْعَلُ فَوْقَ رَأْسِهِ، ثُمَّ يُجْعَلُ بِفِرْقَتَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هٰذا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْكُمْ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخْشَى إِلَّا اللهَ، وَلٰكِنَّكُمْ تَعْجَلونَ».

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٨٥٢).

بابُ

المعراج

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١].

٣٥٨٦-عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ، قَالَ: «بَيْنَما أَنَا فِي الحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ في الحِجْرِ مُضْطَجعاً إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ ـ قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ ـ مَا بَيْنَ هٰذِهِ إِلَى هٰذِهِ» فَقُلْتُ لِلجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ إِلى شِعْرَتِهِ. «فَاستَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ إِيمَاناً، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وَفَوقَ الحِمَارِ أَبْيَضَ ـ فَقَالَ لَهُ الجَارُودُ: هُوَ البُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ ـ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاستَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هٰذا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالابنِ الصَّالحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالحِ، ثُمَّ صَعِدَ بي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ:

مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ، قَالَ: هٰذا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بي إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هٰذا يُوسُفُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أوَقَد أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا إِدْرِيسُ، قَالَ: هٰذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحباً بالأَخِ الصَّالِحِ والنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَىالسَّماءَ الخامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ:ومَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هارُونُ، قَالَ: هٰذا هَارُونُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عليْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ،فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَباً بهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هٰذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ

عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ، بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لأَنَّ غُلَاماً بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هٰذا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالابنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هٰذَا سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هٰذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ، فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ، فَالنِّيلُ والفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي بَيْتُ المَعْمُورِ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَاةُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ لَقَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ،

فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَواتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلٰكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي».

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

قوله: بينما أنا في الحَطيم. الحَطيم: الحِجر، سُمِّيَ حَطيماً لِما حُطِمَ من جداره، فلمْ يُسوَّ ببناء البيت. قدَّ، أي: قطع. والشِّعْرَةُ: العانة: والقَصُّ: الصدر.

وقيل في قول خُزَّان السمٰوات: أُرسِلَ إليه، أي: هل أرسِلَ إليه للعروج إلى السماء، وأمَّا بعْثه رسولاً إلى الخلق، فكان شائعاً مستفيضاً قبل العروج.

وذكر الخطابيُّ على بكاء موسى ﷺ قال: لا يجوز أن يُتأول بكاؤه على الحسدِ له، لأن ذٰلك لا يليقُ بصفات الأنبياء والأولياء، وإنما بكى من ناحية الشفقة على أمته، إذ قصَرَ عددهم عن مَبلغ عدد أمة محمد ﷺ.

وقوله: إن غلاماً بُعِث بعدي. ليس على سبيل الإزراء به، لكنه على معنى تعظيم المِنَّة لله عليه، إذ قد أحقَّه لذٰلك من غير طول عُمرٍ في عبادته، وقد تسمي العرب المستجمِع للسِّنِّ غلاماً ما دامت فيه بقيَّةٌ من قوَّةٍ.

قوله: وإذا نبقُها مثلُ قِلال هَجَرَ. يريد أنَّ حَبَّ ثمرها في الكِبَرِ مثل قِلال هَجرَ، وهي الجِرار، وهي معروفة عندهم.

وقد جوَّد القاضي عياض الكلام على حادثة الإسراء في «الشفا» ١/ ١٦٤ فقال: والحقُّ من هٰذا والصحيح إن شاءَ الله أنه إسراءٌ بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدلُّ الآية وصحيحُ الأخبار والاعتبارُ، ولا يُعْدَلُ عن الظاهِر والحقيقة إلى التأويلِ إلّا عند الاستحالة، وليس في الإسراءِ بجسده وحالَ يقظته استحالة، إذ لو كان مناماً لقال: «بروحِ عَبْدِه» ولم يقل «بعبده» وقوله تعالى: ﴿ما زاغ البصرُ وما طغى﴾ [النجم: ١٧]، ولو كان مناماً لما كانت فيه آيةٌ ولا معجزة، ولما استبعده الكفار، ولا كذَّبوه فيه، ولا ارتدَّ به ضعفاءُ مَنْ أسلم، وافتتنوا به، إذ مِثْلُ هٰذا في المنامات لا يُنْكَر، بل لم يكن منهم ذٰلك إلا وقد علموا أَنَّ خبره إنَّما كان عن جِسْمه وحالِ يقظته، إلى ما ذُكِر في الحديثِ من ذكْرِ صلاته بالأنبياء في بيت المقدس في رواية أنس.

٣٥٨٧-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالبُرَاقِ، وَهُو دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الحِمَارِ، وَدُونَ البَغْلِ يَقَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالحَلْقَةِ الَّتِي تَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ، قَالَ: ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إلى السَّمَاءِ، وَسَاقَ مِثْلَ مَعْنَاهُ... قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، وَقَالَ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ: فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ بُكَاءَ مُوسَىٰ. وَقَالَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى البَيْتِ المَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إلى السِّدْرَةِ المُنْتَهَى وإِذا وَرَقُهَا كَآذَانِ

الفِيلَةِ، وإِذَا ثَمَرُهَا كَالقِلاَلِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، وَأَوْحَى إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذٰلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْساً. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذٰلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فَذٰلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ يُكْتَبْ شَيْئاً، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى استَحْيَيْتُ مِنْهُ».

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٢).

٣٥٨٨-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: فُرِّجَ عَنِّي سَقْفُ بَيْتِي، وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَفَرَّجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِىءٍ حِكْمَةً وَإِيْمَاناً، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ

بِي إلى السَّمَاء، فَلَمَّا جِئْتُ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هٰذا؟ قَالَ: هٰذا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا فُتِحَ، عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا إِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ، بَكَىٰ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، والابنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: هٰذَا آدَمُ وَهٰذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ، بَكَىٰ حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ» قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمٰوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولَانِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ» قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَفَرَضَ اللهُ عَلى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَرَجَعْتُ بِذٰلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلى موسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَرَاجَعَنِي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ

شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذٰلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهى بِي إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللُّؤلُؤ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ».

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٤٩)، وأخرجه مسلم (١٦٣) وفي روايته «فإذا فيها جنابذُ اللؤلؤ يريد: قِباب اللؤلؤ»، والجنابذ: جمع الجُنبُذَةِ، وهي القُبَّةُ، ولم يعرف الخطابيُّ الحبائِلَ. والأسوِدَةُ: جمع سوادٍ وهو شخص الإنسانِ.

والنَّسَمُ: جمع نسمةٍ، وهي النفس، وكلُّ دابَّةٍ فيها رُوحٌ، فهي نسمةٌ، والنَّسمُ: الرُّوح، وأراد أرواح أولاده، وقوله: «ظهرتُ» أي: صَعِدتُ، والمستوى: المصعد. وقوله: «أسمع صريف الأقلام»: يريد -والله أعلم- ما يكتبه الملائكة من أقضية الله عزَّ وجل، وما ينسَخونه من اللوح المحفوظ.

٣٥٨٩-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيَها رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ قَالَ: ﴿وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ: هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ.

أخرجه البخاري (٣٨٨٨).

٣٥٩٠-عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ

مِنَ الأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثاً: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِمَ سُورَةِ البَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِالله مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئاً المُقْحِمَاتُ.

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٧٣).

المُقحِماتُ: أراد الذنوب العظام التي تُقحِم أصحَابَها في النار، أي: تُلقيهم فيها، والقُحَمُ: الأمور الشاقَّة، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿هٰذا فوْجٌ مُقتحِمٌ معكم﴾ [صٓ: ٥٩] أي: داخلٌ معكم النار.

٣٥٩١-عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ زِرّاً عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِئةِ جَنَاحٍ.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٨٥٦)، وأخرجه مسلم (١٧٤) (٢٨٢) وفيه: قال: لقد رأى من آيات ربِّه الكبرى رأى جبريل في صورته، له سِتُّ مِئةِ جناح.

٣٥٩٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، قَالَ: رَأَىٰ رَفْرَفاً أَخْضَرَ سَدَّ الأُفُقَ.

أخرجه البخاري (٤٨٥٨).

قيل: الرَّفْرَفُ: البساط، وقيل: هي هاهنا الثياب الخُضر. وجاء في بعض الروايات أنه رأى جبريل في حُلَّةٍ من رفرفٍ قد ملأَ ما بين السماء والأرض صححها الترمذي (٣٢٧٩)، والحاكم ٢/ ٤٦٨ ووافقه الذهبي. وعن أبي هريرة ﴿ولَقَدْ رآهُ نزلةً أخرى﴾ [النجم: ١٣] قال: رأى جبريل عليه السلام. أخرجه مسلم (١٧٥).

٣٥٩٣-عَنْ أَنَسٍ قَالَ: فُرِضَتْ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ، ثُمَّ نُقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسَةً، ثُمَّ نُودِيَ: «يَا مُحَمَّدُ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهٰذِهِ الخَمْسِ خَمْسِينَ».

صحيح.

٣٥٩٤-عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، رَأَيْتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ».

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٧٥) ولفظه عنده: «مررتُ على موسى ليلة أسريَ بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره».

٣٥٩٥-عن الزهريِّ، أخبرني سعيد بن المسيّب أنه سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ أَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ الفِطْرَةَ، وَلَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ، غَوَتْ أُمَّتُكَ».

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨).

قوله: «الفطرة» يعني الإسلام والاستقامة، وجعل اللبن علامة على ذلك لكونه سهلاً طيِّباً سائغاً للشاربين سليم العاقبة، بخلاف الخَمْر، فإنَّها أُمُّ الخبائث، وجالبةٌ لأَنواعِ الشرورِ في الحالِ والمآل.

٣٥٩٦-عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

هٰذا حديثٌ متفق على صحته أَخرجه البخاري (٤٧١٠)، ومسلم (١٧٠).

بابُ

الهجـــرة

قَـالَ اللهُ سُبْحَـانَـهُ وَتَعَـالَـى: ﴿وَقُـلْ رَبِّ أَدْخِلْنِـي مُـدْخَـلَ صِـدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، يُرْوَىٰ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالحَسَنِ وَقَتَادَةَ: أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ: المدِينَةَ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ: مَكَّةَ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِلَىٰ مَكَّةَ.

٣٥٩٧- عن عروة بن الزبير، عن عائِشَةَ زَوْج النَّبيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يومٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِراً نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدُّغُنَّةِ وَهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ، وَأَعْبُدَ رَبِّي. قَالَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ -يَا أَبَا بَكْرٍ- لَا يَخْرُجُ، وَلَا يُخْرَجُ، أَنْتَ تَكْسِبُ المُعْدِمَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ، وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدُّغُنَّةِ، فَطَافَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لا يَخْرُجُ مِثْلُهُ، وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يَكْسِبُ المُعْدِمَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدُّغُنَّةِ، وَقَالُوا لابْنِ الدُّغُنَّةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ، فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ،

فَلْيُصَلِّ فِيهَا، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذٰلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذٰلِكَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ لأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذٰلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَتَقَذَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً لا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذٰلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدُّغُنَّةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذٰلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ الصَّلَاةَ والقِرَاءَةَ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذٰلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الاستِعْلَانَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدُّغُنَّةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلى ذٰلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ، وَهِيَ الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلى رِسْلِكَ،

فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذٰلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ -وَهُوَ الخَبْطُ- أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَما نَحْنُ يَوْماً جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هٰذا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعاً فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدىً لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُروجِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِالثَّمَنِ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجَهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذٰلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ، قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَمَكَثَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيَدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْراً يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذٰلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ يَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ،

فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفُهُمَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهِمَا عَامِرُ ابْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ يَفْعَلُ ذٰلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَةِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلاً مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِياً خِرِّيتاً -وَالخرِّيتُ: المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ- قَدْ غَمَسَ حِلْفاً فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاثٍ، فَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ مَالِكٍ المُدْلِجِي وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَما أَنا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِس قَوْمِي بَنِي مُدْلِج، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفاً أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ. قَالَ سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلٰكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَاناً وَفُلَاناً انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ، فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فَخَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَدَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلامَ،

فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أُضرُّهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ،سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْها، ثُمَّ زَجَرْتُهَا، فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا غُبَارٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ، فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِيْنَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي، وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا» فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدَمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا تُجَّاراً قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَيَسْمَعُ المُسْلِمُونَ بِالمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْطَلَقُوا أَيْضاً بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ، يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى

صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ العَرَبِ هٰذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ المُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِظَهْرِ الحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذٰلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَامِتاً، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذٰلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأَسَّسَ المَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَداً لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هٰذا -إِنْ شَاءَ اللهُ- المَنْزِلُ» ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الغُلَامَيْنِ، فَسَاوَمَهُمَا بِالمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِداً، فَقَالَا: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِداً، وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِه، وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ:

هٰـذا الحِمَـالُ لَا حِمَـالُ خَيْبَـرْ هٰــذا أَبَــرُّ رَبَّنَــا وَأَطْهَــرْ

وَيَقُولُ:

اللَّهُـمَّ إِنَّ الأَجْـرَ أَجْـرُ الآخِـرَه فَـارْحَـمِ الأَنْصَـارَ وَالمُهَـاجِـرَه

فَتَمَثَّلَ بِبَيْتِ رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمينَ لَمْ يُسَمَّ لِي. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ يَبْلُغْنا فِي الأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرِ هٰذِهِ الأَبْيَاتِ.

هٰذا حديثٌ صحيح أَخرجه البخاري (٣٩٠٥) و(٣٩٠٦).

قوله ابن الدُّغُنَّة: هي أمه، وقيل أم أبيه، وقيل: دابته، ومعنى الدغنة: المسترخية، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر. والقارةُ: قبيلة مشهورة من بني الهون ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش يضرب بهم المثل في قوة الرمي.

وقوله: تُكْسِب المُعْدِم، أي: تُعطيه المال. وقولها: فلم تكذِّبْ قريشٌ بجواره. يعني: لم ترُدَّ جواره، وكلُّ من كذَّب بشيءٍ، فقد رَدَّه.

وقولها: فيتقذّف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، أي: يزدحمون عليه يقال: الناس يتقاذفون على فلانٍ، أي: يقذِف بعضهم بعضاً، فيتساقطون عليه، ويروى: فيتقصَّفُ، والمراد منه الازدحام حتى يسقطَ بعضهم على بعضٍ، وفي الحديث: «أنا والنبيون فراطٌ لقاصِفِين» فالقاصفون: الذين يزدحمون، يقول: نحن نتقدم إلى الجنة، وهم على الأثر يزدحمون حتى يقصفَ بعضهم بعضاً بِداراً إلى الجنة، وقيل: معناه: أنا والنبيون متقدِّمون في الشفاعة لقومٍ كثيرين مُتدافعين مزدحمين، وأصل القصفِ: الكسر.

قولهم: كرِهنا أن نُخْفِرَكَ، أي: نَنْقُضَ ذِمَّتك، يقال: خفرتُ الرَّجل: إذا حفِظته، وأخفرتُه: إذا نقضتَ عهده. والنِطاق: أن تلبس المرأة ثوباً، وتشدَّ وسطها بحبلٍ، ثم ترسل الأعلى على الأسفل، فسمِّيتْ أسماءُ ذاتَ النِّطاقين، لأنه كان لها نطاقان قطعتْ أَحَدَهما لزاد النبيِّ ﷺ.

وقولها في صفةِ عبد الله بن أبي بكرٍ: هو شابٌّ ثقفٌ، أي: ذو فِطنةٍ، يقال: غلامٌ ثقِفٌ، وامرأةٌ ثَقافٌ. وقولها: لقِنٌ، أي: حَسَنُ التلقُّنِ لِما يسمعه، واللَّقِنُ: الفَهِمُ، يقال: لَقِنْتُ الحديث أَلقَنُهُ لقناً.

وقولها: فيدَّلج بسَحَرٍ، يقال: أَدْلَجَ: إذا سار الليل كله، وادَّلجَ بالتشديد: إذا سار سَحراً. يُكتادان به من الكيدِ.

وقولها: ورضيفهما: فالرَّضيف: اللبن المرضوف، وهو الذي طُرِحَ فيه الرضفة، وهي الحجارة المحماة لتذهبَ وخَامتُه، يقال: رَضفت اللبن والقِدْر. والخِرِّيت: الدليل الحاذق الذي يهتدي لمثل خُرْتِ الإبرة من الطريق.

وقولها: غمسَ حِلْفاً. تريد أنه كان حليفاً لهم، وذلك أنهم كانوا إذا عقدوا حِلفاً وضعوا جَفنةً من طيبٍ، فغمسوا أيديهم فيها لتأكيد الحلف. قوله: رأيتُ أَسْوِدَةً، جمع سَواد الإنسان، وهو شخصه. وقوله: فدفعتها تقرَّب: التقريب: دون الحُضرِ في سير الدَّابة، وفوق سَيرِ العادة.

وقول سُراقة: فاستقسمت بالأزلام. الأزلام: قِداحٌ زُلِّمَتْ وسوِّيتْ، أي: أخِذَ من حروفها، وأزلامُ بقر الوحش: قوائمها شبِّهتْ بأزلام القِداح للطافتها، واحدها زَلَمٌ وزَلَمٌ، كانت العرب في الجاهلية تتخذها، مكتوبٌ عليها الأمر والنهي، تضعها في وعاءٍ، وإذا أراد واحدٌ سَفراً أو حاجة، أخرَج منها زلماً، فإنْ خرج الآمر مَضى، وإنْ خرج الناهي، كفَّ وانصرف، ومعنى الاستقسام: طلبُ معرفة قسمي الخيرِ والشرِّ، والنفع والضرِّ.

وقوله: ساخت يدا فرسي، أي: غابت في الأرض.

وقوله: وإذا لأثر يديها غبارٌ ساطعٌ. ويروى: فخرجت قوائمها ولها عُثانٌ بالثاء المثلثة والنون، والعثان: أصله الدُّخَان، وجمعه عواثن، وجمع الدُّخان دواخن على غير قياس. قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ١/ ٣٤٥: ولا نعْلم في الكلام شيئاً يشبههُما. وطعامٌ عِثنٌ ومَعثونٌ، أي: دَخِنٌ.

قوله: يرزآني، أي: لم يسألاني، يقال: رزأتُه ماله رزْءاً، أي: أخذته. قوله: أوفى رَجُلٌ، أي: أشرَفَ على أطمٍ، والأُطُمُ: الحصنُ. قوله: هٰذا جدُّكم الذي تنتظرون. يعني: حظكم ودولتكم التي كنتم تتوقعونها. فثار المسلمون، أي: وثبوا. والمِرْبَدُ: الموضع الذي يُجْعَلُ فيه التمر إذا صُرِمَ قبل أن يُجْعَلَ في الأوعية، ويُنقلَ إلى البيوت، والمِرْبَد: الموضع الذي يُحبس فيه الإبل والغنم، والرَّبْد: الحبس.

٣٥٩٨-عن أَنَس بن مَالِكٍ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ حَدَّثَهُمْ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ المُشْرِكِينَ فَوْقَ رُؤُوسِنَا، وَنَحْنُ فِي الغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «يَاأَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟».

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

وفي الحديثِ: بيانُ عظم توكله صلوات الله عليه حتى في هٰذا المقام.

وفيه. فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهي من أَجلِّ مناقبه، والفضيلةُ من أَوْجُهٍ منها: هٰذا اللفظ، ومنها: بَذْلُه نَفْسَه ومفارقته أَهلَه ورئاسته وماله في طاعةِ الله تعالى ورسوله، وملازمة النبي ﷺ، ومعاداة الناس فيه، وجَعْله نَفْسَهُ وقايةً عنه في كثير من المواطن. انظر «شرح النووي» ١٦٧/٨.

٣٥٩٩-عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ، فَنَزَلَ أَعْلَى المَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو عَمْرو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاؤُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ، وَمَلأُ بَنِي

النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ، وَإِنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإِ بَنِي النَّجَارِ فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هٰذَا» قَالُوا: لَا وَاللهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللهِ. قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ: قُبُورُ المُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ، وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ المُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بَالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ، وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَه فَاغْفِرْ للأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَه

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٢٨)، ومسلم (٥٢٤).

قوله: أرسل إلى ملإ من بني النجار، فالملأ: أشرافُ الناس ورؤساؤهم الذين يرجع إلى قولهم. قوله: «ثامنوني بحائطكم»، أي: بيعونيه بالثمن. قوله: وفيه خَرِبٌ وهي جمع خربةٍ مثل كلمة وكلمٍ وروى بعضهم بكسر الخاء وفتح الراء جمع الخراب.

وفي الحديثِ من الفقه: جوازُ قَطْعِ الأَشجار المثمرة للحاجة والمصلحة لاستعمال خشبها، أَو ليغرسَ موضعها غَيْرَها، أو لاتخاذ موضعها مسجداً، أَو قَطْعها في بلادِ الكُفَّار إِذا لم يُرْجَ فَتْحُها؛ لأَنَّ فيه نكايةً وغَيْظاً لهم وإِضعافاً وإِرغاماً.

وفيه: جوازُ نَبْشِ القبور الدارسة وأنه إِذا أزيل ترابها المختلط بدمائهم وصديدهم جازت الصلاة في تلك الأرض. أَفاد النووي في «شرح مسلم» ٣/ ١١.

٣٦٠٠-عن البراءِ بنِ عازِبٍ قال: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ، فَاشْتَرى مِنْهُ رَحْلاً، فَقَالَ العَازِب: ابْعَثِ ابْنَكَ يَحْمِلُهُ مَعِي، قَالَ: فَحَمَلَتُهُ مَعَهُ، وَخرَجَ أَبِي يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: نَعَمْ أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنْ الغَدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلا الطَّرِيقُ لا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ مَكَاناً بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أَنْفُضُ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فإذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ قُلْتُ: أفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفتَحْلُبُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ وَالقَذَى، قَالَ: فَرَأَيْتُ البَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلى الأُخْرَى يَنْفُضُ، فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرْتَوِي فِيهَا، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ المَاءِ عَلى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَشَرِبَ حتى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ الرَّحِيلُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا زالَتْ الشَّمْسُ، واتَّبَعَنَا سُراقَةُ بنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا» فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا، أُرَى فِي جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ، شَكَّ زُهَيْرٌ، فَقَالَ: إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ،

فَادْعُوا لِي، فاللهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَجَا، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَداً إِلَّا قَالَ: كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَداً إِلَّا رَدَّهُ قَالَ: وَوَفَى لَنَا.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أَخرجه البخاري (٢٤٣٩)، ومسلم (٢٣٠٩).

قوله: أنفض ما حولك، أي: أحرس وأطوف حولك، هل أرى أحداً من الطلب. والقعْبُ: القدح الصغير.

وقوله: كُثبةً من لبنٍ، أي: قليلٌ منه، وكلُّ ما جمعته من طعامٍ أو غيره بعد أن يكون قليلاً، فهو كُثبةٌ، والجمع: كُثَبٌ.

قوله: يرتوي فيها. يقال: ارتوى من الماء، أي: رَوِيَ.

قوله: ارتطمتْ به فَرَسه، أي: ارتبكت، يقال: ارتطم الحمار في الوحل، أي: ساخ فيه. والجَلد: الأرض الغليظة الصُّلبةُ.

وفيه إشارةٌ إلى ما كان عليه العربُ في الجاهلية من التجمُّلِ ببعضِ الصفات الحميدة كالوفَاءِ وعدم الغَدْرِ، وهو مما أَهَّلهم لحمل رسالة الإسلام فيما بعد.

٣٦٠١-عَنِ البَرَاءِ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا القُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هٰذَا رَسُولُ اللهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَىٰ﴾ فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا.

هٰذا حديث صحيح أَخرجه البخاري (٤٩٤١).

٣٦٠٢-عَنْ أَنَس قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ لَعِبَتِ الحَبَشَةُ بِحِرَابِهِمْ فَرَحاً لِقُدُومِهِ.

أخرجه أحمد (١٢٦٤٩)، وأبو داود (٤٩٢٣) بسندٍ صحيح.

٣٦٠٣-عن أنسٍ قال سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ، فَأَتَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ وَمَا يَنْزِعُ الوَلَدَ إِلَىٰ أَبِيهِ أَوْ إِلَىٰ أُمِّهِ؟ قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرَئِيلُ آنِفاً» قَالَ: جِبْرَئِيلُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، فَقَرَأَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ، فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ» قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي، فَجَاءَتِ اليَهُودُ، فَقَالَ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ؟» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذٰلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ. قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، فَانْتَقَصُوهُ. قَالَ: هٰذا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ.

هٰذا حديثٌ صحيح أخرجه البخاري (٤٤٨٠).

قوله: «يخترفُ» أي يجتني من ثمارِها.

وقوله: «زيادة كبد حوت»: هي القطعةُ المنفردة المتعلقة بالكبد، وهي أَطيبُها وأَهنأُ الأَطْعمة.

قوله: «بُهْتٌ» أي: كذَّابون ممارون لا يرجعون إلى الحق. وهٰذا الحديث دليلٌ على ما جُبل عليه اليهود من هٰذه الأَخلاق الدنيئة والخلال الذميمة.

بابُ

الغـــزوات

٣٦٠٤-عن أَبي إسحاق قال سَأَلْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ: كَمْ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ، قُلْتُ: كمْ غَزَا النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ.

هٰذا حديثٌ متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٤٧١)، ومسلم (١٢٥٤).

٣٦٠٥- عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَأَنَّهُ حَجَّ بَعْدَمَا هَاجَرَ حَجَّةً وَاحِدةً، لَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا: حَجَّةَ الوَدَاعِ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: وَبِمَكَّةَ أُخْرَى.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٤٠٤)، ومسلم (١٢٥٤).

وقوله: «تسع عشرة غزوة» أراد الغزوات التي خرج فيها النبي ﷺ بنَفْسه سواءٌ قاتل أو لم يقاتل.

٣٦٠٦- عن ابن بُرَيدة، حَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَقَاتَلَ فِي ثَمَانٍ، وَبَعَثَ أَرْبَعاً وَعِشْرِينَ سَرِيَّةً، قَاتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَيَوْمَ أُحُدٍ، وَالأَحْزَابِ، والمُرَيْسِيع، وَقُدَيْدٍ، وَخَيْبَرَ، وَمَكَّةَ، وَحُنَيْنٍ.

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (١٨١٤) عن سعيد بن محمد عن أبي تُميْلة عن الحسين بن واقدٍ، ولم يذكر البعوث، ولم يُسمِّ ما قاتل فيه.

وقال مَعمر عن الزهريِّ عن النبي ﷺ: أربعاً وعشرين غزوة.

قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: قد ذكرتُ في كتاب «الإكليل» على الترتيب بعوث النبي ﷺ وسراياه زيادةً على المِئةِ.

بابُ

غزوة بدر

كَانتْ غَدَاةَ يَوْمِ الجُمُعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلى رَأْسِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْراً مِنَ الهِجْرَةِ. قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إسْحَاقَ: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] أَيْ: عَدَدُكُمْ قَلِيلٌ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ الفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، يَعْنِي: يَوْمَ بَدْرٍ كَانَ فِيهِ فُرْقَانٌ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يَوْمَ الفَتْحِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ [الأنفال: ٢٩]، أَيْ: فَتْحاً وَنَصْراً.

٣٦٠٧- عَنِ البراءِ قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلىٰ عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ، وَلَم يُجَاوِزْ مَعَهُ إلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاثَ مِئةٍ.

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٩٥٨)، والنهر المذكور هنا هو نهر الأردن.

٤٦٠٨- عن طارق بن شهاب قال: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَداً لأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ

مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى، النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلى المُشْرِكينَ، فَقَالَ: لا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى، اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا، وَلٰكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ، وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ.

أخرجه البخاري (٣٩٥٢).

قوله: «ممَّا عُدِلَ به» أي وُزِن، يعني من كلِّ شيءٍ يُقابل ذٰلك من الدنيويات. والمرادُ المبالغةُ في عظمة ذٰلك المشهد. وفي هٰذا دليلٌ على تنافس الصحابة في فعل الخيرات وتسابقهم في نصرة هٰذا الدين العظيم، فأثابهم الله على ذٰلك بتوطئة أكناف الأرض، وإحلال رضوانه عليهم.

٣٦٠٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٩٥٣).

قوله: «أَنشُدُك» أي: أَطلب منك.

٣٦١٠- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «هٰذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ».

هٰذا حديثٌ صحيح أخرجه البخاري (٣٩٩٥).

٣٦١١- عن سِماكٍ الحنفيِّ قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

إِلَى المُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِن تُهْلِكْ هٰذِهِ العِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادّاً يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِي الله كَذاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالمَلاَئِكَةِ. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ ـ هو سماكُ الحنفي ـ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاس قَالَ: بَيْنَما رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ المُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ إِذْ نَظَرَ إِلَى المُشْرِكِ أَمَامَهُ، فَخَرَّ مُسْتَلقِياً، فنَظَرَ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّيْفِ، فَاخْضَرَّ ذٰلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذٰلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: صَدَقْتَ ذٰلِكَ مِن مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ. فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ.

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٧٦٣).

وقوله: «كذاك» هو بمعنى كفاك.

قيل في معنى هٰذا الحديث، ومناشدةِ النبي ﷺ، وقول أبي بكر: حسبُكَ يا رسول الله فإنه سينجزك ما وعدك: ليس ذٰلك لأن حال أبي بكر في الثقة بربِّه كان أرفع، ولا يجوز لأحدٍ أن يظن ذٰلك، والمعنى فيه الشفقة منه عليه السلام على

قلوب أصحابه، والتقوية لِمُنَّتِهِمْ إذْ كان ذٰلك أولَ مَشْهدٍ شهده، وكانوا مكثورين بأضعافٍ من أعدائه، فابتهل عليه السلام في الدُّعاء والمسألة يُسكِّن بذٰلك ما في نفوسهم، إذ كانوا يعلمون أن دعوته مستجابةٌ، فلما قال له أبو بكر: حسبك كفَّ من الدعاء إذ عَلم أنه قد استُجيب دعاؤه بما وجده أبو بكر في نفسه من المُنَّةِ والقوة حتى قال هٰذا القول، يدلُّ عليه قوله على أثر ذٰلك: ﴿سَيُهزمُ الجمعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] والله أعلم. وهٰذا مستفاد من كلام الخطابي كما نقله الحافظ في «الفتح» ٧/ ٣٣٨.

٣٦١٢- عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف، عن أبيه، عَنْ جَدِّهِ بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ في الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ أن أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَموتَ الأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعجَّبْتُ لِذٰلِكَ، فَغَمَزني الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَها، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاس. قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هٰذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ. قَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟» فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفِ، فقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ» وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٩٦٤)، وأخرجه مسلم (١٧٥٢) وفيه: تمنيتُ أن أكون بين أضلعَ منهما، أي: أقوى.

وقوله: «الأعجل منا» يعني الأَقربَ أَجلاً.

٣٦١٣- عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَمَر يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْ صَنَادِيد قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا في طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلى قَوْمٍ، أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كان بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ، أَمَرَ بِرَاحِلَته، فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى، واتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نَرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى قَامَ علَىٰ شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: يَا فُلَانَ ابنَ فُلانٍ، ويَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً؟ قَالَ: فقالَ: عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهَ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟! قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُم».

قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللهُ حَتى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخاً وَتَصْغِيراً وَنِقْمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَماً.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٠٦٥)، ومسلم (٢٨٧٥).

الصناديد: العظماء، يقال: رجل صِنْديد. والطَّوِيُّ: البئر المطوية، وهي التي ضُرِسَتْ، أي: طُويَتْ بالحجارة لئلا تنهار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وما أنتَ بمسمعٍ مَنْ في القبور﴾ [فاطر: ٢٢] أراد به الكفّار الذين هم صُمٌّ عن الهدى لا تقدِرُ أنتَ علىهدايتهم كما قال جلَّ ذِكره: ﴿وما أنتَ بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ [النمل: ٨١].

وروي عن سليمان بن المغيرة، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: كنَّا مع عمر رضي الله عنه بين مكة والمدينة، أنشأ يُحدثنا عن أهل بدرٍ، فقال: إن رسول الله ﷺ يُرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: هٰذا مصرع فلانٍ غداً إنْ شاء الله، قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحقِّ ما أخطؤوا الحدود التي حدَّ رسول الله ﷺ. أخرجه مسلم (٢٨٧٣).

بابُ

غزوة بني النضير

قَالَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ: كَانَتْ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ قَبْلَ أُحُدٍ، وَجَعَلَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ بَعْدَ بِئْرِ مَعُونَةَ وَأُحُدٍ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاس سُورَةُ الحَشْر، قَالَ: قُلْ: سُورَةُ النَّضير. وَالحَشْرُ: الجَلاَءُ وَذٰلِكَ أَنَّ بَنِي النَّضِيرِ أَوَّلُ مَنْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُجْلُوا. قَالَ الزُّهْرِيُّ: هُوَ أَوَّلُ حَشْرٍ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ يُحْشَرُ النَّاسُ إِلَيْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، لِذٰلِك قَالَ: ﴿لأوَّل الحَشْرِ﴾.

٣٦١٤- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَآمَنَهُمْ، وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ سَلاَمٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٠٢٨)، ومسلم (١٧٦٦).

٣٦١٥- عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِير، قَالَ: ولَهَا يَقُول حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

وَهَانَ عَلَىٰ سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٠٣٢)، ومسلم (١٧٤٦).

والشعر في ديوان حسان ١/ ٩٤ قاله ردّاً على جبل بن جوّال الثعلبي: وكان يهودياً ثم أسلم، والسَّراةُ: السادةُ جمع سَرِيّ. قال الفيومي في «المصباح المنير»: (سرى): وهو جمعٌ عزيز لا يكاد يوجد له نظيرٌ، لأنه لا يجمع فَعيل على فَعَلَة.

والبويرة: مصغر بورة وهي الحفرة، وهي هنا مكان معروف بين المدينة وبين تيماء، وهي من جهة قبلة مسجد قباء إلى جهة الغرب، ومستطير: مشتعل.

٣٦١٦- عَنِ ابْنِ عُمرَ قَالَ: حرَّق رَسُولُ اللهِ ﷺ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقَطَعَ وَهِيَ البُوَيْرَةُ، فَنَزَلَتْ ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ الآيَةُ [الحشر: ٥]. واللينةُ: النخلةُ.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٠٣١)، ومسلم (١٧٤٦).

وقد سبقت الإشارة إلى جواز قطع الأشجار المثمرة إذا كان في ذٰلك مصلحةٌ ولا سيَّما في الحروب نكايةً بالعدوّ وتوهيناً لقوَّته.

بابُ

غَزوةِ أحد

وَكَانَ قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ وَقَتْلُ أَبِي رَافِعِ بْنِ أَبِي الحُقَيْقِ قَبْلَهُ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ المُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ

اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، أَيْ: تَقْتُلُونَهُمْ وَتَسْتَأْصِلُونَهُمْ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوون عَلى أَحَدٍ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، كُلُّ مَنِ ابْتَدَأَ وَجْهاً مِنْ سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَهُوَ فِي ابْتِدَائِهِ مُصْعِدٌ، وَفِي رُجُوعِهِ مُنْحَدِرٌ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، أَرَادَ غَمّاً بِغَمٍّ مُتَّصِلاً، فَالغَمُّ الأَوَّلُ: الجِرَاحُ وَالقَتْلُ، وَالغَمُّ الثَّانِي: مَا أُلْقِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْسَاهُمُ الغَمَّ الأَوَّلَ.

٣٦١٧- عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ، رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةٌ تَقُولُ: لَا نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨]، وَقَالَ: «إِنَّها طَيْبَةُ تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ».

هٰذا حديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٠٥٠)، ومسلم (٢٧٧٦).

قوله تعالى: ﴿والله أركسهم﴾ قال الطبري ٩/٧: يعني بذٰلك: والله ردهم إلى أحكام أهل الشرك في إباحة دمائهم وسبي ذراريهم، والإركاس: الرد، ومنه قول أمية ابن أبي الصلت:

فأُركسوا في حميم النار إنهم كانوا عصاة وقالوا الإفكَ والزورا

٣٦١٨- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجْفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِياً شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجُعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْثُرْها لأبي طَلْحَةَ،

فَأَشْرَفَ النَّبيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلى القَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ، وَإِنَّهُمَا المُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا، تُنْقُزَانِ القِرَبَ عَلىٰ مُتُونِهِمَا، تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ، فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ، فَتُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلَاثاً.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٨١١) و(٤٠٦٤)، وأخرجه مسلم (١٨١١) وقال: إما مرَّتَين وإما ثلاثاً من النُّعاس.

قوله: مُجَوِّبٌ من الجوب، وهو التُّرس، وجمعه أجوابٌ يريد: مُترِّسٌ عليه بحجفةٍ، وهي التُرْس، والخَدم جمع خَدَمَةٍ، وهي الخلخال. تنقزان، يقال: نقزَ وقفزَ نقزاناً وقفزاناً: إذا وثب. ويروى: تزْفرانِ القرَبَ، أي: تحملانها.

قوله: وكان شديدَ النَّزْع، أَي: ماهراً في رمي السهام.

وقد استدلَّ الإمام النووي بهٰذا الحديث على جواز غَزْوِ النساءِ مع الرجال، ولا سيَّما إذا اشتدت الحاجة كأن يكون هناك عدوٌّ صائلٌ على بلاد المسلمين.

٣٦١٩- عن قتادة، حدثنا أَنَسٌ أَنَّ أبا طَلْحَةَ قَالَ: غَشِينَا النُّعَاسُ، وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقَطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ.

هٰذا حديثٌ صحيح أخرجه البخاري (٤٠٦٨).

٣٦٢٠- عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَشَدِّ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلا بَعْدُ.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦) (٤٧) وزاد في رواية عنده (٢٣٠٦) (٤٦): يعني جبريل وميكائيل.

٣٦٢١- عَن أبي حازمٍ أنه سَمِعَ سَهْلَ بنَ سَعْدٍ، وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ إنِّي لأعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمنْ كَانَ يَسْكُبُ المَاءَ، وَبِمَا دُووِيَ. كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَغْسِلُهُ، وَعَلِيٌّ يَسْكُبُ المَاءَ بالمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ المَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ، فَأَحْرَقَتْهَا، فَأَلْصَقَتْهَا، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يومَئِذٍ، وَجُرِحَ وَجْهُه، وَكُسِرَتِ البَيْضةُ عَلىٰ رَأْسِهِ.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٠٧٥)، ومسلم (١٧٩٠).

«الرَّباعية» هي بتخفيف الباء الموحدة، وهي السنُّ التي تلي الثنية من كل جانب. وفي ذٰلك دليلٌ على وقوع الابتلاء والانتقام بالأنبياء صلواتُ الله وسلامُه عليهم، لينالوا جزيلَ الأجر، ولتعرفَ أُممُهم وغيرهم ما أَصابهم فَيَتَأَسَّوْا بهم. ولِيُعْلَمَ أَنهم من البشر تُصيبهم مِحَنُ الدنيا ليتيقَّن الناسُ أنهم مخلوقون مربوبون فلا يُفْتَتَنُ بما ظهر على أَيديهم من المعجزات.

وفي الحديث أيضاً: إثباتُ المداواة ومعالجة الجراح، وأنه لا يقدح في التوكُّل لأن النبي ﷺ فعله مع قوله تعالى: ﴿وتوكَّل على الحيِّ الذي لا يموت﴾ [الفرقان: ٥٨]. أَفَاده النووي في «شرح مسلم» ٦/ ٣٩٠.

٣٦٢٢- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: مَا نَعْلَمُ حَيّاً مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ أَكْثَرَ شَهِيداً أَغَرَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الأَنصَار، قَالَ قَتَادَةُ: حدثنا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ اليَمَامَةِ

سَبْعُونَ. قَالَ: وَكَانَ بِئْرُ مَعُونَةَ عَلى عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ، وَيَومُ اليَمَامَةِ عَلىٰ عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ.

هٰذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٠٧٨).

٣٦٢٣- عنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحدٍ: أَرأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ، فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «فِي الجَنَّةِ» فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٠٤٦)، ومسلم (١٨٩٩).

وقد زعم ٱبن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» ١/ ١٨٦: أَنَّ الرجلَ المَذكور هو عمير بن الحمام الأنصاري، قال الحافظ في «الفتح» ٧/ ٤١١: وسبقه إلى ذٰلك الخطيب واحتجَّ بما أَخرجه مسلم (١٩٠١) وذكر عمير بن الحمام، لٰكن نصَّ أنس بن مالك على أن ذٰلك كان يوم بَدْر. فلعلَّ القصتين متغايرتان.

وفي الحديث بيانُ ما كان عليه الصحابة من حبِّ نَصْرِ الإسلام، والرغبة في الشهادة ابتغاءَ مرضاة الله تعالىٰ.

وفيه: جوازُ الانغمار في صفوف الكفار، والتعرض للشهادة، وهو جائز بلا كراهة بين العلماء.

بابُ

قتل أهل بئر معونة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أُحُدٍ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، وَكَانَ بَعْدَ أُحدٍ قَتْلُ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي عَشَرَةٍ عَيْناً، وَأَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلَهُ حَيٌّ مِن بَنِي لَحْيَانَ مَعَ سَبْعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَسَرُوا خُبَيْباً وَزَيْدَ بْنَ الدَّثِنَةِ، فَبَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، ثُمَّ قُتِلاَ.

وهٰذا ثابتٌ في «صحيح البخاري» (٤٠٨٦).

٣٦٢٤- عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رِعْلاً وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لَحْيَانَ اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلى عَدُوٍّ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ حَتَّى كَانُوا ببئر مَعونَةَ، قَتَلُوهُمْ، وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَنَتَ شَهْراً يَدْعُو في الصُّبْحِ عَلى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ: عَلىٰ رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لَحْيَانَ، قَالَ أَنَسٌ: فَقَرَأْنَا فِيهِمْ، ثُمَّ إِنَّ ذٰلك رُفِعَ: بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا.

هٰذا حديثٌ متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٠٩٠)، ومسلم (٦٧٧).

كانت وقعة بئر معونة في صفر من السنة الرابعة للهجرة. ومُلَخَّصها كما قال ابن القيم في «زاد المعاد» ٣/٢٤٦: أَنَّ أَبا براء عامرَ بنَ مَالك المدعو ملاعبَ الأسنة قَدِم على رسولِ الله ﷺ المدينةَ، فدعاه إلى الإسلام، فلم يُسْلم ولم يَبْعُد، فقال: يا رسول الله، لو بَعَثْتَ أَصحابك إلى أَهل نجد يدعونهم إلى دينك، لرجوتُ أَن يُجيبوهم، فقال: «إني أَخَافُ عليهم أَهل نجد»، فقال أبو براء: أَنا جارٌ لهم، فبعث معه سبعين رجلاً، وأَمَّر عليهم المنذر بن عمرو، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وقرّائهم، فلما وصلوا إلى بئر معونة استنفر عليهم عامر بن الطفيل بني عامر فلم يُجيبوه لأجل جوار أبي البراء، فاستنفر بني سليم، فأجابته رِعْلٌ وذكْوان وعُصَيَّة، فأَحاطوا بالصحابة وقتلوهم عن آخرهم إلا كعب بن زيد ابن النجار، فوجد رسول الله ﷺ على قتلى بئر معونة ما لم يجده على غيرهم ومكث شهراً يدعو على قاتليهم، واستدلَّ به الشافعية على استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة.

بابُ

غزوة الخندق وهي الأحزاب

قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: كَانَتْ فِي شَوَّال سَنَةَ أَرْبَعٍ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ﴾ [الأحزاب: ١٠] قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ ذلِكَ يَوْمَ الخَنْدَقِ.

أما تسميتها بالخندق. فمن أجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ، وكان الذي أشار بذلك سلمان الفارسي فيما ذكره أصحاب المغازي، وأما تسميتها بالأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم: قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم. وانظر خبر هذه الغزوة في ابن هشام ٣/ ٢٢٦، وابن سعد ٢/ ١، ٤٧، والطبري ٣/ ٤٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ١٦٥، وابن سيد الناس ٢/ ٥٤، وابن كثير ٤/ ٩٢، و«زاد المعاد» ٣/ ٢٦٩، و«شرح المواهب» ٢/ ١١٨.

وقوله: «كانت في سنة أربع» علقه البخاري ٧/ ٣٠٢ وقال الحافظ: هكذا رويناه في مغازيه وتابع موسى على ذلك مالك، وأخرجه أحمد عن موسى ابن داود عنه، وقال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة خمس، وبذلك جزم غيره من أهل المغازي، قال ابن القيم: وهو الأصح، وقطع به الذهبي، واعتمده الحافظ.

٣٦٢٥- عن حُمَيْد الطويل قال: سَمِعْتُ أَنَساً قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الخَنْدَقِ، فَإِذَا المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ

بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأى ما بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالجُوْعِ قالَ:

اللَّهُمَّ إنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخِرَه فَاغْفِر للأنْصَارِ وَالمُهَاجِرَه

فَقَالُوا مُجِيبِينَ لهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدا عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أبَدا

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٠٩٩).

و«النَّصَبُ»: التعبُ.

وقوله: «إنَّ العيش» أي: العيش المعتبر هو عَيْشُ الآخرة حيث النعيم المقيم، قاله ﷺ حثّاً لهم على مواصلة العمل.

٣٦٢٦- عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الخَنْدَقِ حَتَّى اغْمَرَّ بَطْنُهُ، أوِ اغْبَرَّ بَطْنُهُ يَقُولُ:

وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأقْدَامَ إنْ لَاقَيْنَا

إنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إذَا أرَادُوا فِتْنَةً أبَيْنَا

وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: أبَيْنَا أبَيْنا.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣).

قوله: اغمرَّ، يقال: غمرت الشيء: إذا سترتَه، وماءٌ غمرٌ، إذا علا كلَّ شيءٍ فسترَه، واغبرَّ من الغبار.

٣٦٢٧- عن عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه قال: أَتَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فَقَال: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاؤوا النَّبيَّ ﷺ، فَقَالُوا: هذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ»، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقاً، فَأَخَذَ النَّبيُّ ﷺ المِعْوَلَ، فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيباً أَهيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبيِّ ﷺ شَيْئاً مَا فِي ذٰلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ، وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِي قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقلتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، فَقَالَ: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ»، قَالَ: «قُلْ لَهَا: لَا تَنْزِعُ البُرْمَةَ، وَلَا الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ». قَالَ: «قُومُوا»، فَقَامَ المُهَاجِرُونَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبيُّ ﷺ بِالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا». فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ، والتَّنُّورَ إذا أخذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِي وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ».

وَرَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ عَنْ جَابِرٍ وَقَالَ: ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً وَطَحَنْتُ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، وَقَالَ: وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

قوله: فعرضَتْ كُدْيَةٌ، أي: قطعةٌ غليظةٌ صُلبةٌ لا يعمل فيها الفأسُ والمِعوَلُ، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿أعطى قليلاً وأكدى﴾ [النجم: ٣٤] أي: قطع العطاء، يقال: أكدى الحافر: إذا بلغ الكُدْية، فقطعَ الحَفْر.

وقوله: أَهْيَلَ. الأَهْيَلُ والهيَّالُ: السيَّال، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿كثيباً مهيلاً﴾ أي: مصبوباً سائلاً، يقال: تَهَيَّلَ الرَّمل: إذا سال، ومن روى: «أَهْيَمَ»، يقال: كثيبٌ أَهْيَمُ، وكُثبانٌ هِيمٌ، والهِيمُ: الرِّمالُ التي لا يُرْويها ماءُ السماء، وبه فسَّر بعضهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿فشاربون شرْبَ الهيم﴾ [الواقعة: ٥٥].

و«العَناق»: الأُنثى من أولاد المعز. و«البُرْمَةُ»: القِدْرُ.

والحديثُ معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ الله ﷺ، ولذلك أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٤٢٢، وجعله الماوردي في «أعلام النبوة»: ١٦٨ نظير معجزة عيسى عليه السلام في المائدة.

٣٦٢٨- عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ حِينَ أُجْلِيَ الأَحْزَابُ عَنْهُ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤١٠٩). وفيه إشارةٌ إلى أنهم رجعوا بغير اختيارهم بل بصنع الله تعالى لرسوله ﷺ.

وفيه: علمٌ من أعلامِ النبوة، فإنه ﷺ اعتمر في السنة القابلة، فصدته قريش عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلى أنْ نقضوها، فكان ذلك سببَ فتح مكة.

٣٦٢٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤١١٤)، ومسلم (٢٧٢٤).

بابُ

خروج النبي ﷺ إلى بني قريظة

٣٦٣٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ يَوْمَ الخَنْدَقِ رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: حِبَّانُ بْنُ العَرِقَةِ، رَمَاهُ فِي الأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن الخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَل، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الغُبَارِ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَرَدَّ الحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ يُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ. قَالَ هِشَامُ بن عروة راوي الحديث: فَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ سَعْداً قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ، فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الحَرْبَ فَافْجُرْهَا، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ، فَلَمْ يَرُعْهُمْ - وَفِي

المَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ - إلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الخَيْمَةِ مَا هَذا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَماً فَمَاتَ مِنْهَا.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩).

قوله: «الأكْحَل»: هو عِرْقٌ في وسط الذراع.

و«اللَّبَّةُ»: موضع القلادة من الصدر. وكان موضع الجرح قد وَرِمَ حتى وصل الوَرَمُ إلى صدره فانفجر من هناك.

قوله: «يغذو» أي: يسيل.

وفي الحديث من الفقه: جوازُ التحكيم في أُمورِ المسلمين وفي مهماتهم العِظام، وهذا إجماعٌ ولم يُخالف فيه إلّا الخوارج.

وفيه: جوازُ مصالحةِ أهل قريةٍ أو حصن على حكم حاكم مسلمٍ عَدْلٍ صالح للحكْم أمينٍ على هذا الأمر.

وفيه: جواز النوم في المسجد، وجواز مكث المريض فيه إنْ كان جريحاً.

ولم يتمنَّ سعدٌ الموت بسبب ضرٍّ نزل به، بل تمنى انفجار الجرح ليموتَ شهيداً رضوان الله عليه.

٣٦٣١- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الغُبَارِ سَاطِعاً فِي زُقَاق بَنِي غَنَمٍ مَوْكِبِ جِبْرِيلَ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤١١٨).

٣٦٣٢- عَن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فأدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي

الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَها، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذلِكَ، فَذُكِرَ ذلِكَ للنَّبيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِداً مِنْهُمْ.

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠).

قوله: «لا يُصَلِّين أحدٌ العَصْرَ». قال الحافظ في «الفتح» ٧/ ٤٧١: كذا وقع في جميع النسخ عند البخاري، ووقع في جميع النسخ عند مسلم «الظهر» مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد، وقد وافق مسلماً أبو يعلى وآخرون، وكذلك أخرجه ابن سعد عن أبي عتبان مالك بن إسماعيل عن جويرية بلفظ «الظهر» وابن حبان من طريق أبي عتبان كذلك، ولم أره من رواية جويرية إلا بلفظ الظهر، غير أن أبا نعيم في «المستخرج» أخرجه من طريق أبي حفص السلمي عن جويرية فقال: «العصر» وأما أصحاب المغازي، فاتفقوا على أنها العصر، وانظر تمام كلامه فيه.

وقوله: «فلم يُعَنِّفْ واحداً منهم» قال المازري في «المُعْلم» ٣/ ٢١: هذا فيه دلالةٌ على أنَّ الإثم موضوعٌ في مسائل الفروع، وأنَّ كلَّ مجتهدٍ غيرُ ملومٍ فيما أدَّاه إليه اجتهاده بخلافِ مسائل الأُصول، وكأن هؤلاء لمَّا تعارضت الأدلة، فالأمْرُ بالصلاةِ لوقتِها يوجبُ تعجيلَها قبل بني قريظة، والأمْرُ بأن لا يُصلِّى إلّا في بني قريظة يوجبُ التأخير وإنْ فات الوَقْتُ، فأيُّ الظاهرَيْن يُقَدَّمُ، وأي العمومَيْن يُسْتَعْمل؟ هذا موضعُ الإشكال للنظر فيه مجال وانظر «زاد المعاد» ٣/ ١٣١.

باب

غزوة ذات الرِّقاع

وَهِيَ غَزْوَةُ مُحَارِبِ خَصْفَةَ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي غَطَفَانَ فَنَزَلَ نَخْلاً (مكان من المدينة على يومين) وَهِيَ بَعْدَ خَيْبَرَ، لِأَنَّ أَبَا مُوسَى جَاءَ بَعْدَ خَيْبَرَ.

ذكره البخاري معلقاً قبل الحديث (٤١٢٥).

وَقَالَ أَبُو مُوسَى: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ.

أخرجه البخاري (٤١٢٨)، ومسلم (١٨١٦).

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَتْ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ. وَغَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ - وَهِيَ غَزْوَةُ المُرَيْسِيعِ - قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: سَنَةَ أَرْبَعٍ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: سَنَةَ سِتٍّ فِي شَعْبَانَ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: حَدِيثُ الإِفْكِ فِي غَزْوَةِ المُرَيْسِيعِ.

٣٦٣٣- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَوَازَيْنَا العَدُوَّ، فَصَافَفْنَاهُمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، فَقَامَتْ طَائِفَةٌ مَعَهُ، وَأَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى العَدُوِّ، فَرَكَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَكَانَ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَمْ تُصَلِّ، فَجَاؤُوا فَرَكَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمْ رَكْعَةً، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَرَكَعَ لِنَفْسِهِ رَكْعَتَهُ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٩٤٢). وقد سبق الكلامُ على فقه صلاة الخوف.

بابُ

عمرةِ الحُدَيْبِيَةِ وبيعة الرضوان

كَانَتْ فِي ذِي القَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ [الفتح: ١] أيْ: قَضَيْنَا لَكَ قَضَاءً مَفْصُولاً فِيمَا اخْتَارَ اللهُ لَكَ مِنْ مُهَادَنَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَمُوَادَعَتِهِمْ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، وَالفَتْحُ يَكُونُ صُلْحاً، وَيَكُونُ عَنْوَةً. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

والحديبية: قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم وهي على تسعة أميال من مكة.

٣٦٣٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ قَالَ: الحُدَيْبِيَةُ، قَالَ أَصْحَابُهُ: هَنِيئاً مَرِيئاً فَمَا لَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [الفتح: ٥] قَالَ شُعْبَةُ: فَقَدِمْتُ الكُوفَةَ، فَحَدَّثْتُ بِهَذَا كُلِّهِ عَنْ قَتَادَةَ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: أَمَّا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَمَّا «هَنِيئاً مَرِيئاً» فَعَنْ عِكْرِمَةَ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤١٧٢).

٣٦٣٥- عَنِ البَرَاءِ قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحاً، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِئَةً، وَالحُدَيْبِيَةُ: بِئْرٌ فَنَزَحْنَاهَا، فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا

قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَاهَا، فَجَلَسَ عَلى شَفِيرِهَا، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا، ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا، فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرَكَائِبُنَا.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤١٥٠).

وقوله: «ونحن نعدُّ الفتح بيعة الرضوان» فسَّره الزهري بقوله: لم يكن في الإسلام فتحٌ قبل فتح الحديبية أعظم منه، إنَّما كان الكفر حيث القتالُ، فلما أمِنَ الناسُ كلُّهم كلَّم بَعْضُهم بَعْضاً، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يكن أحدٌ في الإسلام يعقل شيئاً إلّا بادر إلى الدخول فيه، فلقد دخل في تلك السنتين مِثْلُ مَنْ كان دخل في الإسلام قَبْلَ ذلك أو أكثر. ذكره الحافظ في «الفتح» ٥٠٦/٧ وفي هذا دليلٌ على أنَّ الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى بيئةٍ آمنةٍ ينتقل الناسُ فيها من الظلمات إلى النور.

٣٦٣٦- عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِسَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ: عَلى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ عَلى المَوْتِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤١٦٩)، ومسلم (١٨٦٠).

وقال مَعْقِل بن يسارٍ: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفِرَّ. أخرجه مسلم (١٨٥٨).

قال أبو عيسى: معنى الحديثين صحيحٌ، بايعه جماعةٌ من أصحابه على الموت، أي: لا نزال نقاتل بين يديك ما لم نُقتلْ، وبايعه آخرون، وقالوا: لا نفِرُّ.

٣٦٣٧- عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِراً فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالحُدَيْبِيَةِ،

وَقَاضَاهُمْ عَلى أنْ يَعْتَمِرَ العَامَ المُقْبِلَ، وَلَا يَحْمِلَ سِلَاحاً عَلَيْهِمْ إلَّا سُيُوفاً، وَلَا يُقِيمَ بِهَا إلَّا مَا أحَبُّوا، فَاعْتَمَرَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحهُمْ، فَلَمَّا أقَامَ ثَلَاثاً، أمَرُوهُ أنْ يَخْرُجَ، فَخَرَجَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٥٢).

باب

غزوة ذي قَرَد

ذو قَرَدٍ بفتح القاف والراء وهو ماءٌ على نحوِ اثني عشر ميلاً من المدينة.

وَهِيَ الغَزْوَةُ الَّتِي أغَارُوا عَلى لِقَاحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ خَيْبَرَ بِثَلَاثِ ليالٍ وبه جزم البخاري.

٣٦٣٨- عَنْ يَزِيدَ بْنِ أبِي عُبَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الأكْوَعِ يَقُولُ: خَرَجْتُ قَبْلَ أنْ يُؤَذَّنَ بِالْأوْلَى، وَكَانَتْ لِقَاحُ النَّبِيِّ ﷺ تَرْعَى بِذِي قَرَدٍ، قَالَ: فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: مَنْ أخَذَها؟ قَالَ: غَطَفَانُ، قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهُ، قَالَ: فَأسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَي الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلى وَجْهِي حَتَّى أدْرَكْتُهُمْ وَقَدْ أخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ المَاء، فَجَعَلْتُ أرْمِيهِمْ بِنَبْلِي وَكُنْتُ رَامِياً وَأقُولُ:

أنَــا ابْــنُ الأكْــوَعِ اليَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّعِ

وَأرْتَجِزُ حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ حَمَيْتُ القَوْمَ المَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَابْعَثْ إلَيْهِمُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الأكْوَعِ

مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ» قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٤١٩٤)، ومسلم (١٨٠٦).

واللِّقاحُ: النُّوق ذوات الدَّرِّ، واحدتها لِقحةٌ.

وقوله: اليومَ يومُ الرُّضعِ، أي: يوم هلاك اللِّئام من قولهم: لئيمٌ راضعٌ وهو الذي رَضُعَ اللؤم، كما يقال: راكعٌ ورُكَّعٌ، وخاشعٌ وخُشَّعٌ، يقال: رَضَعَ أمَّهُ يَرْضِع، ورضِعَها. وقوله عليه السلام: «مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ» أي: أحْسِنِ العفو، والإسْجاحُ: حُسن العفوِ.

وفي الحديثِ من الفقه: جوازُ افتخار الإنسان بنَفْسِه في ساحات القتال والتمدُّح بالشجاعةِ ليوقع الرُّعْبَ في قَلْبِ خَصْمه.

باب

غزوة خيبر

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: كانت فِي مُحَرَّم سَنَةَ سَبْعٍ.

٣٦٣٩- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأكْوَعِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلَى خَيْبَرَ، فسِرْنَا لَيْلاً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ لِعَامِرِ بْنِ الأكْوَعِ: ألَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلاً شَاعِراً، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالْقَوْمِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِداءً لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأقْدَامَ إنْ لَاقَيْنَا

وَألْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... إنَّا إذَا صِيحَ بِنَا أبَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ هٰذَا السَّائِقُ؟» فَقَالُوا: عَامِرُ بْنُ الأَكْوَعِ، فَقَالَ: «يَرْحَمُهُ اللهُ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ اللهِ لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ، قَالَ: فَأَتَيْنَا خَيْبَرَ، فَحَاصَرْنَاهُمْ حَتَّى أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ اليَوْمَ الَّذِي فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ، أَوْقَدُوا نِيرَاناً كَثِيرَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا هٰذِهِ النِّيرَانُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوقِدُونَ؟» قَالُوا: عَلَى لَحْمٍ، قَالَ: عَلَى أَيِّ لَحْمٍ؟ قَالُوا: عَلَى لَحْمِ حُمُرٍ الإِنْسِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَهْرِيقُوهَا وَاكْسِرُوهَا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَنُهْرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قَالَ: «أَوْ ذَاكَ» قَالَ: فَلَمَّا تَصَافَّ القَوْمُ، كَانَ سَيْفُ عَامِرٍ فِيهِ قِصَرٌ، فَتَنَاوَلَ بِهِ يَهُودِيّاً لِيَضْرِبَهُ وَيَرْجِعُ ذُبَابُ سَيْفِهِ، فَأَصَابَ رُكْبَةَ عَامِرٍ، فَمَاتَ مِنْهُ، فَلَمَّا قَفَلُوا، قَالَ سَلَمَةُ: رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ شَاحِباً، فَقَالَ لِي: «مَالَكَ؟» قُلْتُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي زَعَمُوا أَنَّ عَامِراً حَبِطَ عَمَلُهُ. قَالَ: «مَنْ قَالَهُ؟» قُلْتُ: قَالَهُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ وَأُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَذَبَ مَنْ قَالَهُ إِنَّ لَهُ لأَجْرَيْنِ» وَجَمَعَ بَيْنَ أُصْبَعَيْهِ إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِيٌّ نَشَأَ بِهَا مِثْلَهُ».

هـذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخـاري (٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٢).

قوله من هنيهاتك، أي: من أراجيزك وهي تصغير هَنَةٍ، كما يقال سَنَةٌ وسُنيهةٌ.

قوله: عَوِّلوا علينا، أي: أجلبوا بالصوت علينا من العويل، يقال: أعوَلتِ المرأة وعوَّلتْ.

وقد استشكل المازري في «المُعْلم» ٣/٢٩ قولَ سلمة بن الأكوع: «فاغفر فداءً لك ما اقتفينا»، فإنه لا يقال: أفدي الباري تعالى، ولا يقال للباري سبحانه: فديتك، لأن ذلك إنما يستعمل في مكروهٍ يُتَوَقَّعُ حُلولُه ببعضِ الأشخاص فيُحبُّ شخْصٌ آخرَ أن يحلَّ به ويَفْدِيه منه. ولعلَّ هذا وقع من غير قصدٍ منه إلى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله، وكما قال ﷺ: «وَيْلُ أُمِّه مِسْعَرُ حرب» أو يكون فيه ضرب من الاستعارة،، لأن الفادي لغيره قد بالغ في طلب رضا المفديّ حتى بذل نفْسَه في محابِّه.

وقوله: «إنه لَجِاهدٌ مُجاهِد» قال ابن الأنباري: العرب إذا بالغت في تعظيم شيءٍ اشتقت له من لفظه لفظاً آخر على غير بنائه زيادة في التوكيد وأعربوه إعرابه فيقولون: جادٌّ مجدٌّ ، وليل لائل، وشعر شاعر ونحو ذلك.

٣٦٤٠- عن يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ مَا هٰذِهِ الضَّرْبَةُ؟ فَقَالَ: هذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ النَّاسُ: أُصِيبَ سَلَمَةُ فَأَتَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَنَفَثَ فِيهَا ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ، فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٢٠٦)، وأبو داود (٣٨٩٤).

٣٦٨٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ، أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ اليَهُودِ»، فَجَمَعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟» قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

ﷺ: «كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ» فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ، فَقَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ أَنَا سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟» فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيراً، ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْسَؤُوا فِيهَا وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَداً» ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هٰذِهِ الشَّاةِ سَمّاً؟» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلى ذٰلِكَ؟» فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّاباً أَنْ نَسْتَرِيحَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيّاً لَمْ يَضُرَّكَ.

هذا حديثٌ صحيح أخرجه البخاري (٥٧٧٧).

وفي الحديث من الفقه: إخبارهُ ﷺ عن الغيب، وتكليمُ الجمادِ له، ومعاندةُ اليهودِ لاعترافهم بصدقه فيما أَخبر به عن أسم أبيهم وبما وقع منهم من دسيسة السمِّ، ومع ذلك عاندوا واستمروا على تكذيبه.

وفيه: قَتْلُ مَنْ قَتَل بالسمِّ قصاصاً، وعن الحنفية إنما تجب فيه الدية، ومحلُّ ذلك إذا استكرهه عليه اتفاقاً. وأمَّا إذا دسَّه عليه فأكله ففيه اختلاف العلماء. أفاده الحافظ في «الفتح» ١٠/ ٢٥٧.

بابُ

عُمرةِ القضاء

كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ، فَأَقَامَ ثَلَاثَ لَيَالٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ.

وقد اختلف في سبب تسميتها عمرةَ القضاء، فقيل: المراد: ما وقع من المقاضاة بين المسلمين والمشركين من الكتاب الذي كتب بينهم بالحديبية، فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الصلح ولذلك يقال لها: عمرة القضية، قال أهل اللغة: قاضى فلاناً: عاهده، وقاضاه: عاوضه، فيحتمل تسميتها بذلك لأمرين، قاله عياض، ورجح السهيلي تسميتها عمرة القصاص؛ لأن قوله تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾ [البقرة: ١٩٤] نزلت فيها على ما رواه ابن جرير (٣١٣١) بإسناد صحيح عن مجاهد، وانظر خبر عمرة القضاء في ابن هشام ٤/ ١٢، والطبري ٣/ ١٠٠، وابن سيد الناس ٢/ ١٤٨، وابن كثير ٤/ ٢٢٦.

٣٦٤٢- عن ابْنِ أَبِي أَوْفَى قال: لَمَّا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَتَرْنَاهُ مِنْ غِلْمَانِ المُشرِكِين وَمِنْهُمْ أَنْ يُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٢٥٥).

باب

غزوة مؤتة من أرض الشام

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: بَعَثَ فِي جُمَادَى الأُوْلَى بَعْثَهُ [إلى الشام الذين أُصيبوا بمُؤْتة] سَنَةَ ثَمَانٍ.

وهو قول موسى بن عُقبة وغيرهما من أهل العلم بالسِّيَر.

٣٦٤٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ، فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ، فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي القَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعاً وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٦١).

٣٦٤٤- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْداً، وَجَعْفَراً، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ـ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ـ حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٦٢). وفيه من الفقه: جوازُ الإعلامِ بموتِ الميت ولا يكون ذلك من النَّعي المنهيِّ عنه.

وفيه: تعليق الإمارة بشرط، وتولية عدة أُمراء بالترتيب.

وفيه: جواز التأمر في الحرب بغير تأمير، لأن المراد بقوله: «سيف من سيوف الله، هو خالد بن الوليد رضي الله عنه. وقال الطحاوي في «شرح المشكل» ١٣/ ١٦٧: إنه جائزٌ لآحاد المسلمين أن يتولَّى شؤون الإمارة إذا غاب الإمام فيقوم مقامه حتى يحضر.

وفيه: جواز الاجتهاد في حياة النبي ﷺ. وفيه: علمٌ ظاهرٌ من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لخالد بن الوليد. أفاده الحافظ في «الفتح» ٧/ ٥٨٦.

٣٦٤٥- عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ يَقُولُ: لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ.

أخرجه البخاري (٤٢٦٦).

و«الصفيحة»: السيف العريض. وفي الحديثِ دليلٌ على أنَّ المسلمين قتلوا كثيراً من المشركين، وأنَّ خالداً باشر القتال بنَفْسِه.

باب

غزوة الفتح

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَتْحُ مَكَّةَ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ.

وهو الفتح الذي أعزَّ الله به دينَه ورسولَه وجُنْده، وحزبَه الأمين، واستنقذ به بلده وبَيْتَه الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين. وهو الفتح الذي دخل الناسُ به في دين الله أفواجاً، وأشرقَ به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً ذكره ابن القيم في «زاد المعاد» ٣/ ٣٩٤.

٣٦٤٦- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ، وَذَلِكَ عَلى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، وَسَارَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ، يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّى بَلَغَ الكَدِيدَ - وَهُوَ مَا بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ - أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَإِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الآخِرُ فَالآخِرُ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٢٧٦)، ومسلم (١١١٣).

وفي الحديث دليلٌ لمذهب الجمهور: أنَّ الصومَ والفطر في السفر جائزان. وأنَّ المسافرَ له أن يصومَ بعضَ رمضان دون بعض، ولا يلزمه بصومِ بَعْضِه إتمامه.

وقوله: «وإنما يؤخذ من أمرِ رسول الله ﷺ الآخر فالآخر»: هذا محمولٌ على ما علموا منه النَّسْخَ أو رجحان الثاني مع جوازهما. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٤/ ٢٥١.

٣٦٤٧- عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِئَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١).

النُّصُب: الصنمُ المنصوبُ للعبادة، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وما ذُبِحَ على النّصُبِ﴾ [المائدة: ٥].

وإنَّما فعل النبي ﷺ ذلك لإذلال الأصنامِ وعابديها، ولإظهارِ أنها لا تَنْفع ولا تضر، ولا تدفع عن نَفْسِها شيئاً. وفي تلاوته ﷺ للآيتين دليلٌ على استحباب تلاوتهما عند إزالة المنكر.

٣٦٤٨- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أُسَامَةَ عَلَى القَصْوَاءِ، وَمَعَهُ بِلَالٌ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ حَتَّى أَنَاخَ عِنْدَ البَابِ، ثُمَّ قَالَ لِعُثْمانَ: ائْتِنَا بِالمِفْتَاحِ، فَجَاءَهُ بِالمِفْتَاحِ، فَفَتَحَ لَهُ البَابَ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأُسَامَةُ وَبِلَالٌ وَعُثْمانُ، ثُمَّ غَلَّقُوا عَلَيْهِمُ البَابَ، فَمَكَثَ نَهَاراً طَوِيلاً، ثُمَّ خَرَجَ، فَابْتَدَرَ النَّاسُ الدُّخُولَ، فَسَبَقْتُهُمْ، فَوَجَدْتُ بِلالًا قَائِماً وَرَاءَ البَابِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: صَلَّى بَيْنَ ذَيْنِكَ العَمُودَيْنِ المُقَدَّمَيْنِ ـ وَكَانَ البَيْتُ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ شَطْرَيْنِ ـ صَلَّى بَيْنَ العَمُودَيْنِ مِنَ الشَّطْرِ المُقَدَّمِ، وَجَعَلَ بَابَ البَيْتِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَاسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الَّذِي يَسْتَقْبِلُكَ حِينَ تَلِجُ البَيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِدَارِ قَالَ: وَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُ كَمْ صَلَّى. وَعِنْدَ المَكَانِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَرْمَرَةٌ حَمْرَاءُ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٠٠).

و«القَصْواءُ» هي ناقة النبي ﷺ.

٣٦٤٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ، أَبَى أَنْ يَدْخُلَ البَيْتَ وَفِيهِ الآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا، فَأُخْرِجَتْ، فَأَخْرَجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الأَزْلَامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَاتَلَهُمُ اللهُ أَمَا وَاللهِ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ» فَدَخَلَ البَيْتَ، فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ، وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٨٨). و«الأزلام»: السهام التي كانوا يستقسمون بها الخير والشر.

والاستقسام: هو طلبُ نصيبه الذي قُسِم له، وقيل: هو التفكر والتروّي، يقال: تركت فلاناً يستقسم، أي: يفكّر ويروّي، ويقال: هو يُقسِّمُ أمره، أي: يقدِّره ويدبِّره.

وفي الحديث من الفقه: كراهية الصلاة في المكان الذي فيه صور، لكونها مَظِنَّةَ الشرك.

بابُ

غزوة حنين

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ الآيَةُ [التوبة: ٢٥].

قال ابن كثير في «التفسير» ٢/٣٥٦: يذكر الله تعالى للمؤمنين فَضْلَه عليهم، وإحسانَه لديهم في نصرِه إيَّاهم في مواطن كثيرةٍ من غزواتهم مع

رسوله، وأنَّ ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعدَدِهم ولا بعُدَدهم، ونبَّههم على أنَّ النصر من عنده سواءٌ قلَّ الجمعُ أو كَثُر.

٣٦٥٠- قَالَ عَبَّاسُ بن عبد المطلب: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أنَا وَأبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى المُسْلِمُونَ وَالكُفَّارُ وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أكُفُّهَا إرَادَةَ أنْ لَا تُسْرِعَ، وَأبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أيْ عَبَّاسُ نَادِ أصْحَابَ السَّمُرَةِ» فَقَالَ عَبَّاسٌ- وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتاً -: فَقُلْتُ بِأعْلَى صَوْتِي: أيْنَ أصْحَابُ السَّمُرَةِ، قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلى أوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الأنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلى بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ» قَالَ: ثُمَّ أخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ، فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ» قَالَ: فَذَهَبْتُ أنْظُرُ فَإذَا القِتَالُ عَلى هَيْئَتِهِ فِيما أرَى، قَالَ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إلَّا أنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً، وَأمْرَهُمْ مُدْبِراً.

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (١٧٧٥).

قوله: «أهداها له فروةُ بن نفاثة» فيه قبولُ هدية الكافر. وهذا القبولُ مخصوصٌ بمن طُمِع في إسلامه وتأليفه لمصلحةٍ يرجوها للمسلمين، فقد ردَّ صلوات الله عليه هديَّةَ مَنْ لم يطمع في إسلامه، ولم يكن في قبولها مصلحة، لأن الهدية توجبُ المحبة والمودة.

وأما فرارُ المسلمين، فإنه كان قريباً ولم يحصل من جميعهم بدليل عطفتِهم السريعة، وإنما فتحه عليهم مَنْ في قلبه مرضٌ من مُسْلمةِ أهل مكة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا.

وقوله: «الآن حمي الوطيس» هو مَثَلٌ يضربُ لشدَّة الحرب. والوطيس: شِبه التنُّور وهذا غايةُ البلاغة في التشبيه، وهي من الكلمات التي لم يسبق إليها ﷺ.

ومنها: قوله ﷺ: «مات حتف أنفه»، ومنها قوله: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»، ومنها: «يا خيل الله اركبي».

وقوله: كليلاً، أي: ضَعيفاً.

وفي الحديث دليلٌ على شجاعته صلوات الله عليه وسلامه، فإن ركوبه البغلةَ في موطن الحرب وعند اشتداد الناس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنهُ أيضاً يكون معتمداً يرجع إليه المسلمون، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٦/ ٣٥٩-٣٦١. وانظر «زاد المعاد» ٣/ ٤٨٣.

٣٦٥١- عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى البَرَاء، فَقَالَ: أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ مَا وَلَّى، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ وَحُسَّرٌ إِلَى هٰذَا الحيِّ مِنْ هَوَازِنَ وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ، فَرَمَوْا بِرَشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ،

فَانْكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ القَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ:

«أَنَـا النَّبِـيُّ لَا كَـذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ»

«اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ».

قَالَ البَرَاءَ: كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ البَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٧٧٦) (٧٩).

والأخِفَّاءُ: جمع خِفٍّ، يريد: القوم الذين ليس معهم سلاحٌ يثقِّلهم، والحُسَّرُ: جمع حاسِرٍ وهو الذي لا دِرْعَ له، ويقال: الذي لا سلاح له، والرَّشْقُ: الرَّميُ، وقوله: رِجْل من جَرادٍ، أي: جماعةٌ منها. وفي جواب البراءِ أدبٌ بديعٍ إذ قَصَرَ الفرارَ على جماعةٍ ممن خرج إلى المعركة.

وقوله: إذا احمرَّ البأس، أي: اشتدَّ الحرب، استقبلْنا العدوَّ برسول الله ﷺ، يقال: موتٌ أحمر، أي: شديد، وحمراء القيظِ شدة حرها، وسَنةٌ حمراء: أي: شديدةٌ، والعرب تصِف عام الجدبِ بالحمرة، وتقول: إنَّ آفاق السماء تحمَرُّ أعوام القحط. قوله: نتَّقي به، أي: نجعله واقيةً لنا من العدوِّ، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فكيفَ تتقونَ إنْ كفرتم﴾ [المزمل: ١٧] أي: كيف يكون بينكم وبين العذاب واقيةٌ إنْ جحدتم يوم القيامة.

٣٦٥٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئاً، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا، فَهَدَاكُمُ اللهُ

بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ، فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟» كُلَّما قَالَ شَيْئاً، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟» قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئاً قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الهِجْرَةُ، لَكُنْتُ امْرأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً أَوْ شِعْباً، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

قوله: «في المؤلفة قلوبهم» هو بَدَلٌ من قوله: «في الناس». والمؤلفة قلوبهم هاهنا: مسلمون دخلوا في الإسلام، ولم يتمكن في قلوبهم، لقوله في رواية أخرى: «فإني أُعطي رجالاً حديثي عَهْدٍ بكُفْرٍ أتألَّفهم». وقد أطال ابن القيم النفس في التفقه في هذا الحديث في «زاد المعاد» ٣/ ٤٧٧ وأجاد في الاستنباط.

بابُ
حَجَّة الوَداع

٣٦٥٣- عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِمِنى: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هٰذَا؟ «قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ هٰذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هٰذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَلَدٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هٰذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا».

أخرجه البخاري (٦٠٤٣).

وقَالَ هِشَامُ بْنُ الغَازِ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الجَمَرَاتِ فِي الحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ، بِهٰذَا. وَقَالَ: «هذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ»، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللهُمَّ اشْهَدْ». وَدَّعَ النَّاسَ، فَقَالُوا: هٰذِهِ حَجَّةُ الوَدَاعِ.

علّقه البخاري (١٧٤٢)، ووصله ابن ماجه (٣٠٥٨)، وأبو داود (١٩٤٥)، بإسنادٍ صحيح.

٣٦٥٤- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الوَدَاعِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الوَدَاعِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ، فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عَلَى مَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ- ثَلَاثاً-، إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ اليَمِينِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، أَلَا إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا، فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا، فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ «قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ- ثَلَاثاً- وَيْلَكُمْ أَوْ وَيْحَكُمْ انْظُرُوا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْض».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٤٠٢)، وأحمد (٦١٨٥) وفيه تمام تخريجه.

قوله: ولا ندري ما حَجَّةُ الوداع، قال الحافظ في «الفتح» ٧/ ٧١٠: كأنَّه شيءٌ ذكره النبي ﷺ فتحدَّثوا به، وما فهموا أنَّ المراد بالوداعِ وَداعُ النبي ﷺ،

حتى وقعت وفاتُه ﷺ بعدها بقليل فعرفوا المراد، وعرفوا أنه ودَّعَ الناسَ بالوصية التي أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفَّاراً.

قوله: «إلَّا أنْذرَ أُمته» كأنَّ إنذارهم تعظيمٌ لفتنته وتقريبٌ لها، وبيانٌ منهم أنَّ وَقْتَها غير معلومٍ عندهم.

وفي الحديث: تعظيمُ حرمةِ دَمِ المؤمن وماله. وأنَّهما لا يستباحان إلّا بحقٍّ الله تعالى.

بابٌ
في مَرَضِهِ ووفاته صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٦٥٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ عَلى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنَّ عَبْداً خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هٰذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ المُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَّا خُلَّةَ الإِسْلَامِ، لَا تَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

والخَوْخة: مُخْتَرَقٌ بين بيتين أو دارين يُنصبُ عليها بابٌ.

قولُه: «إنَّ مِنْ أمَنِّ الناسِ عَليَّ» أي: أسمحُ بمالهِ وأجْوَدُ بذات يده، والمنُّ العطاء، وقد يكون المنُّ بمعنى الاعتداد بالصنيعة، وذلك مذمومٌ كما قاله الله سبحانه وتعالى: ﴿لا تُبْطِلوا صَدَقَاتِكُمْ بالمنّ والأذى﴾ [البقرة: ٢٦٤] وليس معنى الحديث هذا، إذ لا مِنَّةَ لأحَدٍ على رسول الله ﷺ، بل له المِنَّةُ على جميع الأمَّةِ. وقوله: «إلا خُلَّةَ الإسلام» أشار إلى أخوَّة الدِّين. وفي أمره بترك سدِّ خوخته الاختصاص كما خصَّهُ بالاستخلاف في الصلاة، وكل ذلك مما يؤكد خلافته رضي الله عنه.

٣٦٥٦- عن يزيد بن أبي حبيبٍ: أنَّ أبا الخير حدثه: أنَّ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الجُهَنِيَّ حَدَّثَهُمْ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى عَلى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ كَالمُوَدِّعِ لِلأحْيَاءِ، وَالأمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ، فَقَالَ: «إنِّي بَيْنَ أيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وَإنِّي لأنْظُرُ إلَيْهِ وَأنَا فِي مَقَامِي هٰذَا، وَإنِّي لَسْتُ أخْشَى عَلَيْكُمْ أنْ تُشْرِكُوا، وَلكِنْ أخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أنْ تَنَافَسُوهَا» فَقَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

قوله: «فَرَط» أي: سابق متقدّم.

وفي الحديث: إثباتُ حوض نبينا ﷺ لا حرمنا الله من الورود عليه. ونقل النووي في «شرح مسلم» ٦٧/٨ عن القاضي عياض قال: أحاديثُ الحوض صحيحة، والإيمانُ به فرضٌ، والتصديقُ به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهلِ السنة والجماعة، لا يُتأوَّلُ ولا يُخْتَلَفُ فيه.

وفي الحديث: الحثُّ على الزهدِ في الدنيا وعدم التنافس فيها. وقد كثر في القرآن الإشارةُ إلى مَدْح الزهد فيها وإلى ذمِّ الرغبة فيها، قال تعالى: ﴿بل

تؤثرون الحياةَ الدنيا والآخرة خيرٌ وأبقى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧] وقال تعالى: ﴿تريدون عرضَ الدنيا والله يُريدُ الآخرة﴾ [الأنفال: ٦٧] وصحَّح الترمذي (٢٣٢٠) من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: «لو كانت الدنيا تعدلُ عند الله جناحَ بعوضةٍ، ما سقى كافراً منها شربة». وانظر: «جامع العلوم والحكم» ٢/ ١٧٧.

٣٦٥٧- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً، فَصَلَّى عَلى أَهْلِ أُحدٍ صَلاَتَهُ عَلى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَـرَطُكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ الآنَ إِلَى حَوْضِي، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

قوله: «صلاته على الميت» أي: دعا لهم بدعاءِ صلاةِ الميت.

٣٦٥٨- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رسُولِ اللهِ ﷺ كَشَفَ السِّتَارَةَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، فَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، وَالنَّاسُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَشَارَ إِلَى النَّاسِ أَنِ اثْبُتُوا، وَأَبُو بَكْرٍ يَؤُمُّهُمْ، فَأَلْقَى السِّجْفَ وَتُوُفِّيَ مِنْ آخِرِ ذلِكَ اليَوْمِ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

قوله: «كأنه ورقةُ مصحف»: عبارةٌ عن الجمال البارع، وحُسْنِ البَشَرَةِ وجمال الوجه واستنارته وزاد البخاري ومسلم: «ثم تبسَّم» قال النووي في «شرح مسلم» ٢/ ٣٧٩: وسببُ تبسُّمه ﷺ فَرَحُه بما رأى من اجتماعهم على الصلاة، واتباعهم لإمامِهم، وإقامتهم شريعتهم، واتفاق كلمتهم. فالواجبُ على المسلم أن يسعى بجهده لتوحيد صفِّ المؤمنين ويفرح بذلك.

قوله: «السّجف» بفتح السين وكسرها: السّتر. وقيل: الستران المقرونان بينهما فُرْجة.

٣٦٥٩- عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أزْوَاجَهُ أنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، تَخُطُّ رِجْلاَهُ فِي الأرْضِ بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ. قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَأخْبَرْتُ عَبْدَ اللهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أبِي طَالِبٍ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تُحَدِّثُ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، قَالَ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أعْهَدُ إلَى النَّاسِ» فَأجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إلَيْنَا بِيَدِهِ أنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ إلَى النَّاسِ، فَصَلَّى لَهُمْ وَخَطَبَهُمْ، وَأخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ أنَّ عَائِشَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ قَالاَ: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلى وَجْهِهِ، فَإذَا اغْتَمَّ، كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذلِكَ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٤٢)، وأحمد (٢٤٨٥٨).

الأوْكِيَةُ جَمعُ الوِكاءِ: وهو الخيط. قوله: «لمْ تُحْلَلْ أوكيتهنَّ» لأنَّ الماء الذي لمْ يُحْلَلْ عنه الوكاء يكون أطهرَ لعدم وصول الأيدي إليه، وخصَّ عدد

السَّبع تبركاً بها، لأنها تقع في كثير من أمور الشريعة، والمِخضب: شبه المِركنِ وهي إجانةٌ يُغسل فيها الثياب.

والخميصةُ: ثوبُ خَزٍّ أو صوف. وقوله: «إذا اغتمَّ» يعني: أخذه نفسه من شدة الحرِّ. وفيه: التحذيرُ من اتخاذ القبور مساجد.

٣٦٦٠- عن عائشة قالت: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَإِنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ - شَكَّ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٤٩)، وأحمد (٢٤٢١٦).

قولها: بين سَحْرِي ونَحْرِي. النَّحْر: ما لزِقَ بالحلقوم من المريء، والسَّحْرُ: الرِّئةُ، يُقال انتفخ سَحْرُهُ.

وعبد الرحمن هو ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

وعُمرُ هو ابنُ سعيد بن أبي حسين النَّوْفليُّ المكيُّ أحد رواه الحديث.

قولها: فأمَرَّه بتشديد الراء، أي: أمَرَّه على أسنانه فاستاك به.

٣٦٦١- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَداً بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ.

هذا حديثٌ صحيح أخرجه أحمد (٢٤٣٥٦)، والبخاري (٤٤٤٦) وغيرهما.

الحاقِنةُ: المطمئِنُّ بين التَّرْقُوَةِ والحَلقِ، والذَّاقِنةُ: نُقرةُ الذَّقن، ويقال: الذَّقنُ، ويقال ما يناله الذَّقنُ من الصَّدْم، وقال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ٢/٣٥٦: الذَّاقنةُ: طرف الحلقوم.

وفي الحديث دليلٌ على أن عائشة رضي الله عنها هي آخر الناسِ عهداً برسول الله ﷺ. وقد تتبَّع الحافظ في «الفتح» ٧/٧٤٦ جميع الأحاديث التي ذكرت أنَّ علياً رضوان الله عليه كان آخر الناس عَهْداً به، وخلص إلى أنها مما لا يحتج به لضعف رواتها.

٣٦٦٢- عن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير أنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُسْنَدٌ إِلَى صَدْرِهَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٤٤٠)، ومسلم (٢٤٤٤).

قوله: «الرفيق الأعلى» قيل: هو من أسماء الله سبحانه وتعالى كأنه أراد ألحِقْني بالله، وقال الأزهريُّ: غلِطَ هذا القائل، والرفيق ها هنا: جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى علِّيين اسم جاء على وزن فعِيلٍ، ومعناه الجماعة، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وحَسُنَ أولئِكَ رفيقاً﴾ [النساء: ٦٩].

٣٦٦٣- عن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ». فَلَمَّا نُزِلَ بِهِ وَرَأْسُهُ فِي فَخِذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى» فَقُلْتُ: إِذاً لَا تَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا، وَهُوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: وَكَانَتْ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٧).

وفي الحديث: ردٌّ على من يزعم أنَّ النبي ﷺ أوْصى إلى عليٍّ رضوان الله عليه بالخلافة، وأن يوفي ديونَه.

٣٦٦٤- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ نَبيٍّ يَمْرَضُ إلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فيه أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شديدةٌ، فَسَمِعْتُهُ يقولُ: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحينَ» فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّتِه أخرجه البخاري (٤٥٨٦)، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٦).

و«البُحَّةُ»: غِلَظٌ في الصوت. وقال ٱبن كثير في تفسير الآية الكريمة: مَنْ عمل بما أمره الله به ورسولُه، وتركَ ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله عزَّ وجلَّ يسكنه دارَ كرامته ويجعله مرافقاً للأنبياء، ثم لمن بَعْدهم في الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين، وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم.

٣٦٦٥- عَن أنسٍ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاكَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبّاً دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ. فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا التُّرَابَ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٦٢)، وابن ماجه (١٦٣٠).

قوله: ليس على أبيك كَرْبٌ بعد اليوم. يريد: لا يصيبه بعد اليوم نَصَبٌ ولا وَصَبٌ يجد له ألماً إذ أفضى إلى دار الآخرة والسلامة الدائمة.

وقوله: «يتغشَّاه» أي: الكَرْبُ وشدَّةُ المرض. وقد سكت أنسٌ عن جوابها رضوان الله عليها رعايةً لها، ولسانُ حاله يقول: لم تطِبْ أنفُسنا بذلك، إلّا أنَّا قهرناها على فعله امتثالاً لأمره. وقد أخرج البزار بسندٍ جيد عن أبي سعيد الخدري قال: «وما نَفَضْنا أيدينا من دَفْنِه حتى أنكرنا قلوبنا». يريد أنهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته من الأُلفة والصفاء، لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأديب.

ويستفاد من الحديث جوازُ التوجع للميت عند احتضاره، وأنه ليس من النياحة المنهيِّ عنها.

٣٦٦٦- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئاً مَا نَسِيتُهُ قَالَ: «مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيّاً إِلَّا فِي المَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ» ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ.

أخرجه أحمد (٢٧)، والترمذي (١٠١٨)، وهو حديث قوي بطرقه، وتمام تخريجه في «المسند».

وقال عُرْوَةُ: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ودفن في آخر الليل من ليلة الثلاثاء أو مع الصبح، ووليَ غسله وتكفينه علي والعباس، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، ونزل في قبره علي وأسامة، والفضل.

وقال عِكرِمَةُ: دُفِنَ ليلة الأربعاء.

٣٦٦٧- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِيَنَا عَنِ التُّرَابِ وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا.

أخرجه أحمد (١٣٣١٢)، والترمذي (٣٦١٨) وغيرهما بسندٍ صحيح.

وفي رواية: فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلمَ منها كل شيء.

وقال حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنسٍ قال: ما رأيت يوماً قطُّ كان أحسنَ ولا أضوءَ من يومٍ دخل علينا فيه رسولُ الله ﷺ، وما رأيتُ يوماً كان أقبحَ ولا أظلمَ من يومٍ مات فيه رسول الله ﷺ. أخرجه أحمد (١٢٢٣٤) بسندٍ صحيح.

بابُ
تركة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم

وقد صنَّف فيه الإمام حماد بن إسحاق بن إسماعيل المالكي (٢٦٧هـ) كتاباً نافعاً استوعب فيه تركة النبي ﷺ والسُّبل التي وجَّهها فيها، وهو مطبوع.

٣٦٦٨- عَنْ عَمْرِو بْنِ الحَارِثِ الخُزَاعِيِّ، أَخِي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِثِ قَالَ: لَا وَاللهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَاراً، وَلَا دِرْهَماً، وَلَا عَبْداً، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئاً إلا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ وَسِلَاحاً وَأَرْضاً تَرَكَهَا صَدَقَةً.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٢٧٣٩)، والنسائي ٦/ ٢٢٩.

٣٦٦٩- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَبْداً وَلَا أَمَةً وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيراً.

٣٦٧٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَتْرُكْ دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيراً وَلَا أَوْصَى بِشَيْءٍ.

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (١٦٣٥)، والنسائي ٦/ ٣٤٠ وغيرهما.

وقد دلَّت الأحاديثُ على زهده صلوات الله عليه وسلامُه، وأنه لم يكن من الدنيا في شيء، وقد صحَّ عنه أنه قال: «مالي وللدنيا، إنَّما مَثَلي ومَثَلُ الدنيا كراكبٍ قال في ظلِّ شجرةٍ، ثم راح وتركها» صحَّحه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن حبان (٦٣٥٢).

٣٦٧١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَاراً، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نفقةِ نِسَائِي وَمَؤُونَةِ عَامِلِي، فَهُوَ صَدَقَةٌ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٠٩٦)، ومسلم (١٧٦٠).

قال سفيان بن عيينة: كان أزواج النبي ﷺ في معنى المعتدَّات إذ كُنَّ لا يجوز لهنَّ أنْ ينكحنَ، فجرت لهنَّ النَّفقةُ.

وقوله: «مَؤونةُ عاملي» أراد بالعامل: الخليفةَ بعدَهُ، وكان النبي ﷺ يَأخذ نفقةَ أهلهِ من الصّفايا التي كانت له من أموال بني النَّضير وَفَدَكَ، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين، ثمَّ وَلِيها أبو بكر، ثم عمر كذلك، فلما صارت إلى عثمان، استغنى عنها بماله، فأقطعها مروان وغيره من أقاربه، فلم تزل في أيديهم حتى ردَّها عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

٣٦٧٢- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ حِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثْنَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَسْأَلْنَهُ مِيرَاثَهُنَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ لَهُنَّ عَائِشَةُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ».

هـذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٧٣٠)، ومسلم (١٧٥٨).

والحكمةُ في أنَّ الأنبياء صلوات الله عليهم لا يورثون أنه لا يؤمن في الورثة من يتمنَّى مَوْتَه فيهلك، ولئلا يُظَنَّ بهم الرغبةُ في الدنيا لوارثه فيهلك الظان، وينفر الناس عنه.

بابُ
عُمره صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٦٧٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَكَثَ النَّبيُّ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يَعْنِي يُوحَى إِلَيْهِ، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٥١)، والترمذي (٣٦٥٢).

٣٦٧٤- عن جريرٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَخْطُبُ قَالَ: مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٥٢)، والترمذي (٣٦٥٤).

قوله: «وأنا أبن ثلاث وستين» قال النووي في «شرح مسلم» ١٥/١٠٣: هكذا هو في جميع النسخ وهو صحيح وتقديره: وأبو بكر وعمر كذلك، ثم استأنف، فقال: وأنا ابن ثلاث وستين، أي: وأنا متوقع موافقتهم، وأني أموت في سنتي هذه. قلنا: ومات وهو ابن ثمانين سنة على غير ما توقعه رضي الله عنه.

وروى عمّارٌ مَوْلى بني هاشمٍ عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابـن خمسٍ وستِّين قال: أقام بمكة بعد الوحي خمسَ عَشْرَةَ سَنةً وبالمدينة

عشرَ سنين. أخرجه مسلم (٢٣٥٣) قال محمد بن إسماعيل: وثلاث وستين أكثر.

باب

٣٦٧٥- عن همّام بن منبِّهٍ قال: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ لَا يَرَانِي، ثُمَّ لأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مِثْلِ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٦٤). ومعنى الحديث: يأتي على أحدكم يومٌ لا يراني، لأن يراني فيه لحظةٌ ثم لا يراني بَعْدَها أحبُّ إليه من أهله وماله جميعاً.

ومقصود الحديث: حثُّ الصحابة على ملازمة مجلسه الكريم، ومشاهدته حضراً وسفراً للتأدب بآدابه، لتعلُّم الشرائع وحِفْظِها ليبلّغوها. وإعلامُهم أنَّهم سيندمون على ما فرَّطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته، ومنه قول عمر رضي الله عنه: ألهاني عنه الصَّفْقُ بالأسواق. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٨/ ١٣٠.

٣٦٧٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ أَشَدِّ أُمتِي لِي حُبّاً نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ».

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (٢٨٣٢).